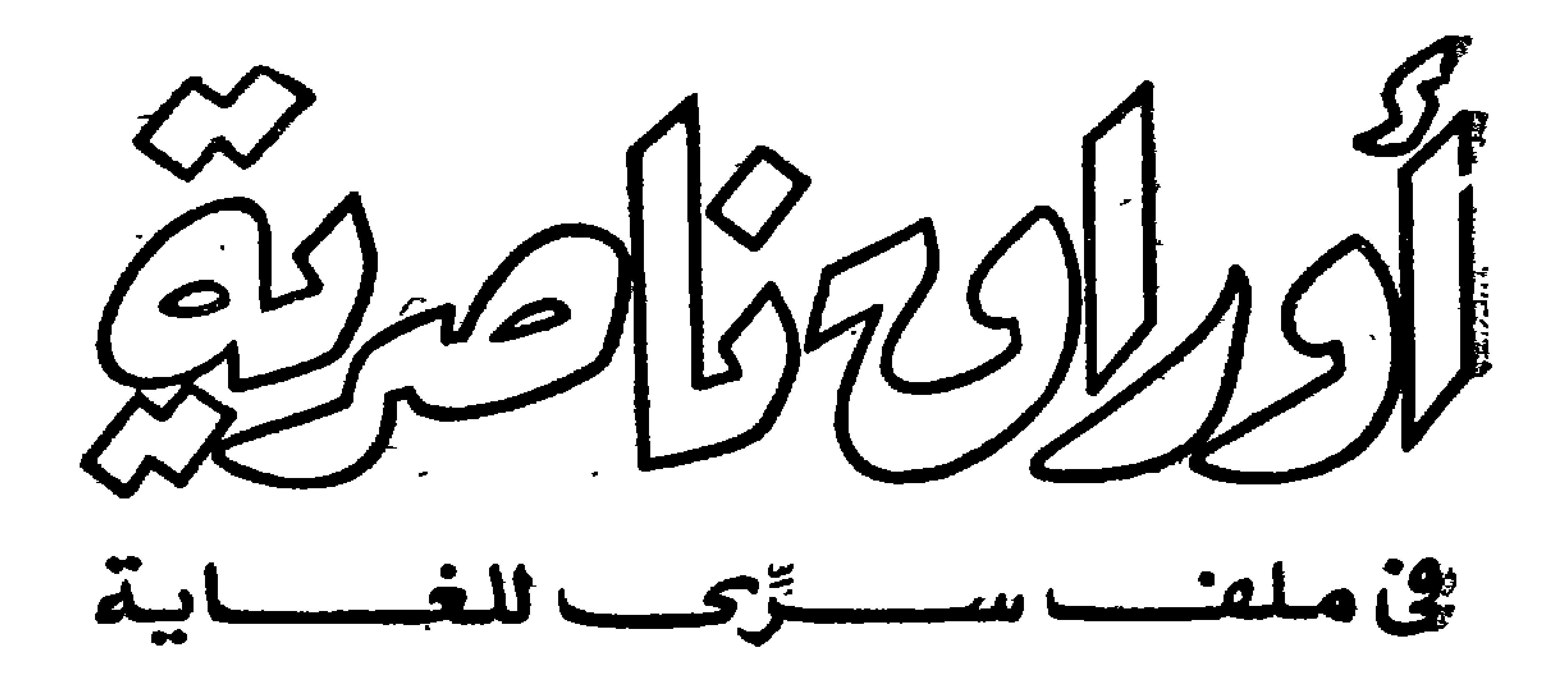
أوراق ناصرية

في ملف سرّي للغاية



د. رفعت السعيد



د. رفعت السعيد

اوراق ناصرية
الطبعة الأولى ١٩٧٥
دار الثقافة الجديدة
٣٢ شارع صبرى ابو علم – القاهرة
تليفون ٥٨٧٨٠ ، ٥٨٤٧١

إهداء

إليك . .

ها أنا آت

مسحت بالزيت رأسي ،

وصوفا خشنا لبست ،

فوق الشوك مشيت حافيا ،

فالوجد يفوق كل وصف . .

وما من شيء يصمد أمام كل هذا القدر من الحب .

إليك . . .

يا أمل ، يا أبي ، يا أمي ،

يا أسرتي ، يامستقبل .

ها أنا آت إليك . .

وجموع أخرى كثيرة تأتي معي ،

ترتدي كلها صوفا حاد الخشونه

وتمشي فوق شوك قاسي الصلابة ،

لكنه ما من شي يعوق قدومنا . . إليك

فأنت كل شيء .

أنت لذلك الشعب الذي نحب . . أمل .

أنت لذلك الوطن الذي نعشق . . مستقبل .

أنت لنا أسرة ، ولمصر كلها حصنا .

ولشعبنا . . طليعة .

مقـــدمـــة رقم ١

عن الرجل ...

لست أعتقد أن بامكان أحد أن يتهمني بالتحيز لعبد الناصر ..

فاذا كان عبد الناصر قد حكم مصر ثمانية عشر عاما ، فقـــد قضيت قرابة الثلاثة عشر عاما الأولى من حكمه سجينا في سجون لست أريد أن أصفها ، ولو بأقل ما كانت تحتوى عليه من بشاعـــة ، والا اتهمت بالتحيز التام ضـــده .

ليس فقط — لأنه يتعين على السياسي أن يتسامى على جراحه ، والا يحمل آلامه — كما يحلو للبعض أن يفعل — مستجديا بها عطفا ، مفتعلا بها موقفا ..

فالأمر — في اعتقادي — أكبر من محاولة تخطى الاحزان الشخصية ، أو التجاسر بالتعالى على « الذات » واللجوء إلى « الموضوع » ، أو حتى امتلاك الشجاعة للدوس بأقدام عارية على أشواك الآلام الشخصية والنزوع نحو «العام» .

الأمر أكبر من ذلك ، ولو أن ذلك كله ، مطلوب ومفترض في أى إنسان يتعرض للنضال السياسي .

الأمر أكبر من ذلك ، لأنه يتعلق بأسلوب النقـــاش ومحاولات الفهم وطريقة تفهم وتحليل الظواهر والأحداث السياسية والإجتماعية .

فالانعكاسات « الفردية » أو « الذاتية » ليست تعبيرا — ولو جزئياً —

عن الواقع الموضوعى العام . . وحتى تجميعها ميكانيكيا لايخلق صورة موضوعية، ذلك أن الصورة الموضوعية انتاج متفاعل وليست مجرد تجميع كمى . .

ومن هنا فإننى أعتقد أن عبد الناصر كظاهرة إجتماعية وسياسية ليس قابلا لأن يفهم فهما صحيحا بمجـــرد النظر اليه بعين واحدة . . السلبيات وحدها أو الإيجابيات وحدها ، أوحتى بعد أن ننظر اليه بعينين منفصلتين ثم تجمــع السلبيات والإيجابيات وتجرى بينهما مقاصة حسابية ، أو نقارن بين الوزن الكمى لكل منهما . .

فالناصرية كظاهرة هى مزيج مركب متفاعل من ذلك كله . . أقول متفاعل بمعنى أنه ، لدى أية محاولة لتقييمها فانه يتعين علينا — إن شئنا اتخاذ المنهج الصحيح — أن نرى الصورة متكاملة تمتزج فيها ايجابياتها وسلبياتها ، وتتفاعل، وتؤثر فى بعضها البعض تأثيراً وقتيا وتاريخيا منتجة مادة جديدة تماما يتعين فحصها بعناية فى تركيبها الجديد قبل التعجل وطرح هذا التقييم أو ذاك .

ولقد كتبت فى مرة سابقة عن عبد الناصر ، والححت فى ختام ما كتبت محذراً القارىء ولست ادرى هل يملك الكاتب أن يتجاسر فيرفع سبابته محذراً قارئه لكننى حذرته على أية حال — من أن يحاول اجتزاء الصورة المركبة فيقتنص من هنا أو من هناك كلمة مديح . . أو يتصيد من هذه الواقعة أو تلك مبررا لكلمة هجاء ، فالأمر — كما قلت — متشابك ومركب ، والصورتان ملتحمتان القصد ممتزجتان معا فى ترابط جدلى بحيث لا يمكن —وحتى لو بمشرط الجراح — فصل احداهما عن الأخرى .

ومن هنا يمكن تحديد مقدار الخطأ ومقدار الصواب فى ذلك الصراع الدائر

بين بعض الكتاب حول تقييم دور الناصرية ، وعبد الناصر . ويأتى مقدار الخطأ عندما يسلط كاتب الأضواء على الإيجابيات وحدها وهى كثيرة وحقيقية ، أو عندما يسلط الآخر أضواءه السلبيات على وحدها وهى أيضاً كثيرة وحقيقية . . والأمر الذى لاشك فيه أنه يوجد فى كلا الموقفين مقـــدار — قل أوكثر — من حقيقة جزئية ، لكن الحقيقة الجزئية تقود فى حسابات التقييم الموضوعى إلى الخطأ وربما إلى الخطيئة . .

وكما يتعين علينا أن نحذر من تجزىء الحقائق ، فإنه يتعين علينا أيضاً أن نحذر من التجميع الميكانيكى لاجزاء الحقائق ، فهو لايقدم مطلقا صورة صادقة .

ما من تقييم موضوعى لتاريخ أى زعيم ، أو حدث أو نظام ، يمكن أن يوضع موضع الاعتبار العلمى ، مالم يحرص على رؤية مختلف الزوايا ، وأن يراها وهى متداخلة ومتفاعلة بعضها مع البعض .

وما من رؤيا أحادية الجانب — مهما أحتوت على أجزاء من الحقيقة — يمكن أن تفيد . وليس الناصرى المخلص هو ذلك الذى يدافع عن التجربة بما فيها من صواب وخطأ ، وليس هو ذلك الذى يجتزىء الصواب ويتناسى الخطأ ، ولا هو ذلك الذى يعلو صوته بمدائح مكررة تشبه الابتهالات الدينية ، فالناصرية كمنطلق سياسى وكفكر ، بحاجة دوماً إلى أن تتطور وتتنق ، وأن توائم بين نفسها ومتطلبات واحتياجات ماهو « حال » وجديد .

والناصريون الحقيقيون ، ليسوا بحاجة على الاطلاق لهذه الابتهالات . فللناصرية من الرصيد ، ولها من الجماهير ما يمكنها من أن تظل فكره حية وقادرة — ولم تزل — على أن تلعب دورا وطنيا وثوريا وتقدميا .

لكنه يتعين على الناصريين — أولا وقبل كل شيء — أن يحذروا من محاولات جرهم إلى اليمين ، إلى مواقع تخطاها الزمن، وتخطاها عبد الناصر نفسه ، بل ورفضها منذ أمد طويل .

ويتعين عليهم - كذلك - أن يدركوا أن احدى العلامات الأساسية في الناصرية هي مناداة عبد الناصر بالثورة المستمرة ، واستمرارية الثورة تعني - في اعتقادي - أن تجدد الأفكار والأدوات الثورية نفسها وباستمرار بحيث تكتسب وباستمرار — ومن خلال المعركة — مزيدا من الثورية والنضالية .

ولكن ، ولتكونوا ، دوما على حذر من محاولات تبذل لجر الناصرية إلى الوراء ، فالجماهير التي التفت حول عبد الناصر ، ومنحته قدرا هائلا من الحب لم تفعل ذلك الا بسبب ايمانها بثوريته وتقدميته ، وبغير المزيد من الثورية والتقدمية ، تجمد أية فكرة وتصبح أثرا من آثار الماضي ، تصبح فكرا ثابتا في مكانه وليس بعد الثبات والجمود سوى التقهقر عن تلبية احتياجات الحياة المتدفقة دوما بالجديد .

وباختصار فان الناصريين مطالبون اليوم بالخروج من مرحلة « الابتهالات » ومن مرحلة « العموميات » سعيا وراء تحديد واضح المعالم ، للبناء الفكري وللأدوات الناصرية ، ليس فقط كما كانت ، وإنما أيضا كما أرادها صاحبها أن تكون في المستقبل .

هذا هو — في اعتقادي — واجبهم الاول ، ولهم من أصدقائهم — في سبيل ادائه — كل عون .

وفي هذا الاطار أنهي .. محاولتي هذه .

مقـــدمـــة رقم ٢

عن الوثيقه ..

ما أكثر ماكتب عن عبد الناصر .

وما أكثر ما نشر من كلماته وأفكاره .

غير ان هناك أشياء كثيرة لم تنشر بعد .. ويبدو أنها ان تنشر أبدا ، لأنها بيساطه .. ضاعت .

وثائق غاية فى الاهمية ، وغاية فى الخطورة ،طويت .. واهملت، وضاعت، أو هى فى طريقها الحتمى للضياع مالم تنقذها .. وفورا .

يقولون انها « البيروقراطية » المسئولة عن فشل أهم المؤسسات السياسية المصرية فى الحفاظ على وثائقها الهامه .

ومع أنى لا أملك حق الدفاع عن البيروقراطيه ، الا اننى لااستطيع اتهامها ، فالبيروقراطيه قـــد حفظت لنا وثائق من عصر محمد على ، لازالت حية وسليمة وقادرة على أن تروى لنا « باللغة التركية » تفاصيل مذهلة عن مصر « ذلك العصر » .

والبيروقراطية حفظت لنا حتى حجج وأوراق « الملتزمين » « ومشايخ البلد » فى زمن المماليك وشكاوى الفلاحين منهم ، مقدمة لنا تراثا من المعرفة التاريخية لايقدر بثمن .

وقديما .. وحتى قبل ان تخترع البيروقراطية ، حرص الفراعنة حرصة

غريبا على أن يحفظوا لنا تراثاً وثائقيا نادر المثال لولاه اظللنا نردد الاساطير القروية عن الفراعنه والتى كانت تصفهم بأنهم « مساخيط » سخطهم الله إلى حجر لهذا السبب أو ذلك .

أما الآن . . وعالمنا يطل بنا — رغم أنفنا — على مشارف القرن الحادى والعشرين وبعد أن اتقنت الانسانية فنون وعلوم وأدوات التوثيق ، فان وثائق حياتنا السياسية تكنس كنسا ،عاما بعد عام ، وتتبدد مع ذهاب أصحابها ، وفجأة، ونحن لم نزل بعد أحياء تصبح وثائق نادرة بالفعل ويصعب — بل وفى كثير من الاحيان — يستحيل العثور عليها .

وإلا فهل يصدق إنسان — أو حتى يتخيل — إن مؤسساتنا السياسية على أمتداد تاريخ ثورة يوليو ابتداء من هيئة التحرير وحتى الان ، قد فقدت الغالبية الساحقة من وثائقها ، وأن كل قادم جديد يكنس أوراق من سبقه كنسا ، ليس إلى « المخازن » أو الأقبية كما كان يفعل المماليك ، وإنما إلى باعة الورق الدشت .

هل يصدق إنسان أنه لا توجد نسخه واحـــدة من « برنامج تنظيم الضباط الاحرار » . . ؟ قبل الثورة كانت النسخ موجودة رغم أن حيازتها كانت تؤدى بأصحابها إلى السجن ، وكان أصحابها يبذلون جهداً خاصا للحفاظ عليها ، وبعد إن انتصروا واعتلوا السلطة . . ركنت الاوراق ، أهملت ، ثم ضاعت بغير أمل فى العثور عليها .

وهل يمكن للقارىء أن يصدق أن الوثائق التى سنقوم بعرضها فى هذا الكتيب قد أصبحت بالفعل « نادرة » تماما ، وربما كانت النسخة التى أعتمدنا عليها هى النسخة الوحيدة الموجودة ، وذلك بينما لم يمض على صدورها سوى عشر سنوات

ر أقل . وبالرغم من أهميتها القصوى ، ومن احتوائها على معلومات ومواقف
بيانات لا يمكن الاعتداد بتقييم علمى وموضوعى لفكر عبد الناصر لا يستند
ليها ، لانها جزء ضرورى لاستكمال صورة الفكر الناصرى . .

والنتيجة . . ؟

أدوات التاريخ تتآكل ، وبسرعة أمام أعيننا ، ونحن لا نملك شيئا لايقاف
ذا النزيف . .

والامر لا يحتاج لقرار ، فلكم صدرت قرارات بإعداد أرشيفات وثائقية
جرى العمل نشيطا ، تكوم الاوراق فى أرشيفات يتوه فيها ماهو هام مع ماهو غث
بعد فترة يصبح كل شىء « أكواما » وتصبح « الاكوام » عبئا ، ثم يأتى مسئول
ديد ويتعين عليه الخلاص من هذا العبء . . وأخيراً تجرى عملية التخلص من
ده الاكوام . . من أجل تنظيف المكان . . والبدء من جديد .

ولست أملك سوى أن أجدد الصراخ ، حافظوا على تراثنا التاريخى ، إن لم
كن من أجلنا وأجلكم ، فمن أجل جيل قادم أخشى إن يبذل مؤرخوه
سارى جهدهم بحثا عن وثائقنا فلا يجدونها أو لا يجدون أكثرها ، ولا يكون
امهم — بمقاييس العصر — إلا أن يصمونا بالانحطاط ، أو أن يعتبرونا مجرد
مساخيط » .

وأكرر صيحتى . .

وسأظل أكررها . .

ولو أنى لا أملك الكثير من الامل .

القاهرة ـ مارس ١٩٧٥

١ هـــــذا الملـــــف

كثيرة هى الكتب والمجلدات والمجموعات التى تضم كتابات وخطب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

وكثيرة هى المحاولات التى بذلت لإستقصاء افكاره واجتهاداته ، والتى بذلت لتقيمها تأييداً أو نقداً ، وكثيرة أيضا هى المحاولات التى بذلت وتبذل من أجل دراسة « الناصرية » كفكر وكتطبيق .

ولكن الذى لا يعلمه الكثيرون سواء من الباحثين المتخصصين أو من الجماهير العريضة التى تريد أن تعرف وأن تقرأ المزيد عن عبد الناصر ، أن أهم أفكاره عن التنظيم والكادر الحزبى والبناء الاشتراكى لم تنشر ، ولم يطلع عليها أو يسمع عنها إلا عدد محدود للغاية لا يزيد عن بضع عشرات ، لسبب بسيط وهو أن هذه الأفكار يضمها ملف محدود النسخ فقط ، وكل نسخة صفحاتها مرقمة « بالتخريم » ايحاء بالسرية المطلقة ، زينت صدر كل منها عبارة « سرى للغاية » وتأكيد آخر « للاعضاء فقط » ، ثم تحذير ثالث « يرجى التحفظ السرى لهذه المحاضر مع الاستفادة بما ورد بها دون تداولها مع أى فرد خلاف سيادتكم » ثم فوق ذلك كله خاتم « رئاسة الجمهورية » على كل نسخة .

أنها محاضر اجتماعات « الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى » فى (٦٤ — ١٩٦٥) ، والتى ترأسها عبد الناصر بنفسه محاولا من خلال جهد

خاص ومكثف ، و « مداخلات » طويلة ومدروسة أن يرسى عددا من المفاهيم الأساسية حول قضايا مهمة .

الملف الذى بين أيدينا يضم إثنتى عشرة جلسة متتابعة تبدأ بالجلسة الأولى للأمانة العامة والتى عقدت يوم الثلاثاء الموافق ٢٤/ ١١/ ١٩٦٤ وتنتهى بالجلسة الثانية عشرة ، المنعقدة يوم الثلاثاء ١٩٦٥/٥/١١ .

ويبدو الإهتمام الفائق من جانب عبد الناصر بهذه الاجتماعات ، من حرصه على حضورها بنفسه ، وابـــداء رأيه فيها بصراحة واستفاضة ومطالبته المتكررة لاعضاء الأمانة العامة بالتصارح والحرص على إبداء الرأى البناء .

ويبدو اهتمامه أيضاً من أنه وبالرغم من كل مشاغله قد حرص على أن تعقد الامانة اجتماعا مطولا فى يوم الثلاثاء من كل أسبوع . وقد تتابعت الاجتماعات فى إنتظام يوحى بالحرص البالغ من رجل كثير المشاغل على إنتظام عجلة العمل فى الامانة ، وحرصه على أن يبذل من جهده ووقته الكثير دفعا لهـــذه العجلة فى طريق البناء .

* * *

ولا تكمن الاهمية التاريخية البالغة لهـــذه الوثائق فى أنها تعكس أفكار عبد الناصر حول موضوعات مهمة فحسب ، وإنما أيضاً فى أنها تقدم استعراضا مسجلا بدقة بالغة لتطورات محاولة بذلها « عبد الناصر » وبذل فيها الكثير من جهده وفكره ووقته ، وحرص على أن يتواجد بنفسه فى كل خطوة من خطواتها.. هى محاولة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى وفقا لتصورات واضحة ومحددة ،

وفى مرحلة من أهم مراحل البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى للتجربة الناصرية .

وتتميز هذه المحاولة بأن الامانة العامة للاتحـــاد الاشتراكى العربى كانت تلعب خلالها دورا مهما وأساسياً . وبأن عبد الناصر قد حرص فيها على تمثيل مختلف القوى والتيارات السياسية تمثيـــلا واضحاً « وجبهويا » فى قمة التنظيم السياسى ، الأمانة العامة . وإن « اليسار المصرى » قد أتيحت له فرصة التواجد المتوازن والمؤثر عبر هذه التجربة وأنه قد أثبت فعالية وقدرة على العمل المثمر .

إن تجربة الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى نهايات عام ١٩٦٤ واستمرارا حتى منتصف عام ١٩٦٤ هى تجربة غاية فى الثراء ، وهى أيضاً تستحق أن يبذل فيها جهد خاص لدراستها واستقصاء الدروس المستفادة منها .

وقد يقول البعض أن التجربة قد « فشلت » ، وقد يقول البعض الآخر أنها « أجهضت » .

ولقد يقال ان عبد الناصر قد نفض يديه من الامر « يأسا » بعد إثنى عشر اجتماعا طويلا ومضنيا وبعد قرابة العام من الالحاح المستمر والعمل الدؤوب .

وقد يزعم البعض أن « الاجهاض » كان متعمدا وكان بناء على ضغط ملح وشديد من جانب « المؤسسة العسكرية » ذات النفوذ الصارم فى ذلك الحين .

وتختلف التأويلات والتقييمات ، ولكن كلمات وأفكار « عبد الناصر » تبقى برغم كل شىء ملكا لجماهير الامة العربية .

* * *

إفتتح عبد الناصر الجلسة الاولى بكلمة مستفيضة حذر فيها أعضاء الامانة العامة من إفشاء مايدور فى الجلسات ، « فمن الممكن أن نختلف هنا فى الآراء إلى أى مدى ونحن نريد أن يتكلم كل شخص ، وأن يبدى رأيه ، ولكن هذا الكلام يجب ألا يخرج من هنا أبدا . . لانه إذا خرج من هنا كان معنى ذلك الفشل » .

الصراحة . . . الصراحة

وعن العلاقات المفتعلة بين الكوادر والقيادات وبينها جميعا وبين القيادة السياسية يقول :

« وما نقاسيه اليوم أيضاً هدم الناس بعضهم بعضا . . وبالذات المسئولين فى جميع القطاعات . . وأنا أعتقد أن هذا هو أساس الكلام الذى يدور فى البلد اليوم بصرف النظر عن نواحى النقص الموجودة . . إن كل شخص يرمى اللوم على الآخر ، وبالذات فى القطاع العام . . إذ أن كل شخص يقول أنه يعمل ويسير سيرا حسنا جدا وأنه قال للمسئولين ولكن لم يستمع له أحد ، أننا نريد أن نضرب المثل بأن نضع أسسا وتقاليد نسير عليها ويسير عليها الاتحاد الاشتراكى بجميع مستوياته ، ولكن لا يجوز أن يخرج أحد أعضاء اللجنة ليقول خارج اللجنة أنه قال كذا ولم يعمل بما قاله . . وأننا مستعدون لان نسمع بكل صراحة وبكل وضوح من دون أن نجامل أحدا لانى أعتبر إن المجاملة تهدم » .

وحول أسلوب العمل ومسؤوليات كل عضو من أعضاء الامانة يقول عبد الناصر « أننا لابد أن نتكلم بصراحة فى جميع الموضوعات لاننا فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى لابد أن نعرف مشا كل البلد ومشا كل الناس ثم نتكلم

فيها .. وفي رأيي أن كل واحد هنا لن يكون مختصا بعمله فقط ، بل سيكون مختصا ومسئولا عن جميع الأعمال في البلد » .

الاتحاد الاشتراكي « تنظيم على الورق »

ثم .. لنترك عبد الناصر يتحدث دون أن نقاطعه :

« إن عمل الاتحاد الاشتراكي وارد في الميثاق ، ومفروض أن ننفذ الجزء الموجود في الميثاق ، والعمل الموجود أمامنا اليوم ، عمل التنظيم أكثر مما هو بحث في موضوعات مختلفة . . . والملاحظ اليوم إن هناك « انعزال » بين القيادة والناس ، والذي أريد أن أقوله هو أن تنظيم الاتحاد الاشتراكي حتى الآن هو تنظيم على الورق برغم مؤتمرات الوحدات الاساسية ، هل هؤلاء الناس موجودون في الثورة أم غير موجودين في الثورة ؟ هل يشعر كل واحد انه مع الثورة ؟ .. إن الذين يعتبرون مع الثورة غير منظمين .. والذين ليسوا مع الثورة منظمين .. هناك أناس كثيرون في البلد معنا ونحن لا ندري عنهم شيئا .. ومسئوليتنا هي أن نبحث عن هؤلاء الناس في كل مكان .. هناك أناس معنا ويريدون أن يعملوا .. والحقيقة إن سياسة « إبعاد » الناس تضر ضررا كبيرا ، إن مسئوليتنا هي أن نجمع كل الناس في جميع القطاعات .

والذي أريد أن أقوله أننا يجب ألا نتصور أن عملنا في التنظيم المقسم إلى وحدات أساسية ووحدات المراكز والاقسام والمحافظات أهم من التنظيم السياسي ، فالتنظيم السياسي يختص بالبشر ، ثم أين هم الناس ؟ معنى هذا أننا سنبدأ من نقطة البداية لانه لا يوجد لدينا احتياطي في تكوين الاتحاد الاشتراكي .

إن كل واحد منكم — بينه وبين نفسه — له تعليقات على أعمال الاتحاد الاشتراكي قد يكون متفقا معي في هذا، وقد يكون أقل أو أكثر، إننا نريد أن نسمع هذا الكلام .

إنني أقول إن تنظيم ٦ مليون شخص عملية مستحيلة، نحن يهمنا أن ننظم القيادات والكادرات، ثم هذه العملية لابد أن تنجح لانه لا يمكن أن نقوم كل يوم بتجارب جديدة ونحكم عليها بالفشل، إننا نقول أن العملية في حاجة إلى دفعة قوية لتنجح، وأنا أريد ان أسمع آراءكم عن الاتحاد الاشتراكي وعن الوسائل التي تمكننا من أن ندفع بالاتحاد الاشتراكي بحيث يكون — فعلا — تنظيما يوصل بين القيادة والجماهير، ويؤمن بالثورة وأهدافها وأن يكون مستعدا للكفاح والنضال من أجل تحقيق الاهداف التي أعلنتها الثورة».

وكان أول المتحدثين المهندس سيد مرعي الذي قال إن الناس أقبلوا في البداية على الاتحاد الاشتراكي « وبعد ذلك حصل نوع من ضعف الامل في المنظمة » أو إن منظمة الاتحاد الاشتراكي لم تحقق الآمال التي بنيت عليها سواء على مستوى القرية أو المؤسسة » .

ويعلق عبد الناصر فيسرد تاريخ الثورة مع العمل السياسي، ويتحدث عن منظمة التحرير ثم يقول : « مشكلتنا الأساسية أصبحت أننا وصلنا إلى مرحلة « كلنا هيئة التحرير » ومعنى هذا أن الناس كلها دخلت هيئة التحرير، ولم تكن توجد العناصر القيادية والمفروض أن تتكون المنظمة من عدد أو مجموعة صغيرة على أسس معينة، وتقوم هذه المجموعة بنشر الدعوة ثم ينضم اليها أناس آخرون وتكبر المجموعة، ولكنا سرنا على عكس ذلك » . إن الانتخابات في نظر بعض

الناس ــ مثل انتخابات الاتحاد الاشتراكى ــ عملية وجاهة . . فلو قررنا اليوم إجراء انتخابات ثانية للاتحاد الاشتراكى سيقبلون على الترشيح فيها لان كل واحد منهم يهمه أن يدخل الاتحاد الاشتراكى ، وأن يصبح فى لجنة الاتحاد الاشتراكى وأن يكتب ذلك على بطاقته . . والحقيقة أنه يوجد أناس كثيرون دخلوا انتخابات الاتحاد الاشتراكى ، ونجحوا لكى يكونوا فقط أعضاء فى لجنة الاتحاد الاشتراكى . . فهل هؤلاء يصلحون للعمل فى الاتحاد الاشتراكى ؟ »

طبيعة الاتحاد الاشتراكى

ثم يواصل عبد الناصر حديثه محددا تصوره لطبيعة الاتحاد الاشتراكى وأسلوب عمله وحقيقة أهدافه : « وأنا فى رأيى أن الاتحاد الاشتراكى منظمة للمجالس الشعبية ولكل المنظمات . وإذا فقدت هذه المنظمة اتصالها بالناس ينتهى كل شىء . فما هو التنظيم السياسى ؟

هو أن يكون هناك اتصال بين القاعدة والقيادة بحيث تحس القيادة بطلبات القاعدة ، وبحيث تحس القاعدة بما تفكر فيه القيادة . . وإذا فقد هذا الاتصال تنتهى العملية ونفقد حتى اتصالنا بالجماهير ومشاكل الجماهير . . والسبب فى ذلك أنه لم تكن توجد أمانة عامة متفرغة تمثل « الطلمبة » الماصة الكابسة التى تعطى وتأخذ من الوحدات ، ونحن لانستطيع العمل فى الاتحاد الاشتراكى على أساس أن نجتمع هنا ونقول إننا قررنا كذا وكذا . . إن كل شخص فى الاتحاد الاشتراكى يريد أن يعمل وأن نشعر به وهو يعمل » .

أفكار راودت الرئيس

ثم يمضى عبد الناصر متحدثا عن بعض أفكار راودته « لقد كانت فكرتنا أن

نبدأ كحزب ، ولكننا وجدنا إن العملية مستحيلة لأننا سنضطر إلى طرد بعض الناس ، وبذلك نخلق المعارضة قبل أن نخلق التنظيم ، ولذلك قلنا نستعيض عن هذا بالجهاز السياسى » .

ثم يأتى إلى بيت القصيد ليعترف بواقع مرير « إننا فعلا نطبق الاشتراكية من دون اشتراكيين، وأنا لا أستطيع أن أقول أننا نطبق الاشتراكية باشتراكين. فالحقيقة إننا نطبق الاشتراكية ونريد أن نوجد الاشتراكيين بعد ذلك ، علما بان الرجعية موجودة فى بلدنا . كما أنه يوجد أناس طيبون ، والطيبون إتجاهاتهم رجعية . ثم إن الرجعية منظمة ، أما الاشتراكيون فغير معروفين ولا يستطيع أحدهم التعرف على الآخر ، والرجعيون اليوم يعرفون بعضهم ويتناولون العشاء معا ويتناقشون ويتباحثون ، أما الاشتراكيون فاين هم ؟ ثم هل ثقفنا الاشتراكيين بغير الخطب إنى أعتبر أن الخطب ليست هى الأساس » .

اراء فى الأخطاء والصحافة والرأسمالية الوطنية

وبعد مناقشات مثمرة اشترك فيها خالد محيي الدين وكمال رفعت وحسين خلاف سلط عبد الناصر الأضواء على النشاط الرجعى فى مصر ولم يكتف بالاشارة إليه وإنما أكد إن ثمة أخطاء قد أعطت الرجعية الفرصة لتنشط وتتحرك ، ويقول عبد الناصر « وأنا أعتبر إن الرجعية حتى الآن أنشط منا ، قد نجحت فى ذلك ، ومما ساعدها على النجاح التطبيقات الخاطئة » . ويقول « توجد أخطاء أعطت الرجعية الحجج مثل موضوع التموين وخلافه ، ونتيجة هذا فانهم لن ياخذوا الطبقات المتوسطة فقط بل سياخذون أيضا الركائز التى نعتمد عليها وهم العمال والفلاحين ، كذلك فان مشاكلنا نحن مثل موضوعات بنك التسليف أو الأخطاء التى حدثت فى

التسويق التعاونى كل ذلك « يكفر » هذه الركائز بما نقوله فى الوقت الذى توجد فيه الرجعية فى كل مكان وتبدى استعدادها لأن تعطى الفلاحين نقودا مقدما » .

وبعد نقاش طويل عن الصحافة أكد عبد الناصر . . « أننى لا أريد أن تكون الصحف كلها نسخة واحدة » . وقال : « ويجوز أيضاً أن تكون للناس آراء مختلفة فمثلا المجلة التى تصدر فى براغ تنشر فيها آراء مختلفة عن آراء الحزب الشيوعى ونحن يجب أن نسمح بنشر الآراء المختلفة حتى يشعر الناس بانه يمكن لكل شخص أن يبدى رأيه » .

وقبيل نهاية الإجتماع ، يبدأ كل عضو فى السؤال عن اختصاص مكتبه وحدود مسؤوليته ويسأل سيد مرعى : « بالنسبة لمكتب الرأسمالية الوطنية ، ما هو العمل بالضبط ؟ » . ويرد عبد الناصر : « ترويض الرأسمالية الوطنية » .

وتنتهى الجلسة الأولى . .

ونعود لنقلب صفحات محضر آخر .

٢ لايمكن بناء الاشتراكية من دون الكادر الاشتراكي

كانت التجربة الناصرية تمر بنطقة تحول حاسمة ، كانت مصر مسيرتها الحاسمة المعادية للاستعمار والامبريالية سواء على النطاق المحلي أو القومي أو العالمي . وأصبحت « القاهرة » منارة فعلية لحركات التحرر الوطني المناهضة للاستعمار في كل أفريقيا وفي أماكن كثيرة من آسيا وأميركا اللاتينية ، وكان عبد الناصر يدرك أن مثل هذه السياسة سوف تقود حتما إلى طريق مسدود للعلاقات المصرية — الأميركية ، وأن الاستعمار الأميركي لن يصبر طويلا على السكوت تجاه هذا التوجه الناصري الحاسم .

وكان يتعين عليه أن يتساءل ومن موقع المسئولية هل ستستمر المساعدات الأميركية لمصر برغم هذه السياسة المعادية للاستعمار أم لا ؟ وان انقطعت المساعدة فكيف يجرى تدبير الأمور ؟

لقد أخذت مصر من أميركا خلال الفترة من العام ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٤ ألف مليون دولار . أو بعبارة أخرى صاغها عبد الناصر بصوره أكثر واقعية « أن كل رغيفين في البلد منهم رغيف مأخوذ كمساعدة من أميركا »وهنا يقف عبد الناصر ليتساءل هل تواصل تجربته إندفاعها الثوري على كل نطاق محلياً وقومياً وعالمياً - مصطدمة في كل خطوة بالامبريالية الأميركية ، مهددة بذلك أن تفقد نصف مواردها المتاحة من الخبز ؛ أم تنكص وتتخلى عن دورها القيادي والرائد . ؟

وكانت التجربة الناصرية تمر أيضاً بمنعطف حاسم ، لقد الغيت الأحكام العرفية وأخليت المعتقلات ، وكان عبد الناصر يدرك أن الرجعية سوف تستغل ذلك كي تتحرك وتكسب ، وكان يدرك أن هناك مشاكل ونواقص في مجالات عدة .

سياسية واقتصادية واجتماعية وأن الرجعية « المنظمة » قادرة على الإستفادة من ذلك كله ، وأن تحول « ركائز » الثورة من جماهير تحالف قوى الشعب العامل إلى « سند » لها .

ولم تكن الحساسيات تجاه المفرج عنهم من المعتقلين الشيوعيين قد خفت حدتها بعد ، وأثار ذلك بدوره عدداً من التساؤلات والهواجس .

الجماهير مع ، ولكن أين الاشتراكيون

ويتبلور ذلك كله فى سؤال ملح ، يردده عبد الناصر أكثر من مرة وفى أكثر من موضع أين الإشتراكيون ؟ ومن هم ؟ وما هو السبيل للوصول إليهم ؟

لقد كان عبد الناصر يدرك بحسه المرهف أن الكثيرين من حوله يرد دون كلمات الإشتراكية مجاراة له ، وأنهم يسيرون فى الموكب بغير اقتناع وبغير وجدان ، وأنهم ليسوا إشتراكيين على الإطلاق .

هكذا قالها صريحة وقاطعة ، ورددها أكثر من مرة ، وأكد معها ضرورة البحث أو التنقيب عن العناصر الإشتراكية : « وان هناك أناسا معنا ٢٠٠ فى المائة لكننا لانعرفهم ولا هم يعرفون كيفية الوصول إلينا » .

كان يدرك أن الجماهير معه ، لكن خطوط التوصيل بين القياده والقاعدة تعرقل التفاعل والمحاورة المثمرة .

والح عبد الناصر فى كل مرة تكلم فيها عن ضرورة السعى إلى الجماهير ومحاولة « اختيار » العناصر الإشتراكية الحقة بين صفوفها ، وان كانت الظروف قد

ألجأته لأن يخوض معركة « البحث » عن الكادر الإشتراكي وقد فقد عدداً من « الإختيارات » المهمة والمفيدة نتيجة لموقف مسبق ومتشدد تجاه قطاع متكامل من الإشتراكيين . ويتبلور ذلك كله في الحاحه على تربية الكادر السياسي وتوعيته بعد اختباره اختباراً صحيحاً .

ولقد كان عبد الناصر يدرك أيضاً أن هؤلاء الذين يجارونه من دون اقتناع ، يحاولون ، كلما أتيحت لهم الفرصة أن يلبسوا كلماته غير ثيابها الحقيقية، وأن يشطوا شططاً بالغاً نحو اليمين وهم يفسرون أو يشرحون المواقف أو المنطلقات ويصيح فيهم أكثر من مرة « التزموا بالميثاق » .

وفي الإطار الفضفاض للاتحاد الإشتراكي يشعر عبد الناصر بالحاجة إلى تنظيم قائد يسميه أحياناً « التنظيم السياسي » ، وأحياناً أخرى « الحزب الإشتراكي » ويلح عبد الناصر على ذلك ويبني كل آماله في انجاح التجربة على إختيار كوادر ذات كفاءة ، وحركية ومخلصة وإشتراكية حقاً لتلعب دور التأسيس والتنظيم والقيادة لهذا « الحزب الإشتراكي » ضماناً لتحريك وتنشيط الإتحاد الإشتراكي ذاته .

ويدرك عبدالناصر أنه لا أمل في أي عمل سياسي من دون إتاحة الحرية الكاملة للحوار الديمقراطي ، والمناقشات الحرة ، ويصل به الأمر إلى حد التساؤل عن مدى إمكانية إتاحة الفرصة لإقامة حزبين إشتراكيين في المستقبل ، بشرط إتمام القضاء على الرجعية أولا ، ثم يعود فيقول « إنها عملية مستحيلة الآن ، لكنها قد تكون ممكنة وضرورية في المستقبل ضماناً الإلتحام الديمقراطية بالإشتراكية .

وحول هذه النقاط المهمة، ونقاط أخرى كثيرة ومهمة، يجرى الحوار الخصب فى الجلستين، الثانية - الثالثة، من جلسات الأمانة العامة للإتحاد الإشتراكى العربى.

من أجل الاشتراكية حقيقة

وفى بداية الجلسة إستعرض حسين الشافعى تقريراً من الأمانة العامه يتساءل عن موعد إنعقاد المؤتمر القومى وهل يكون فى مايو ١٩٦٥ أو يوليو ١٩٦٥ أو فى أقرب فرصة.

ويرد عبد الناصر بحسم «.. أنا اعتبر أنه لايوجد إتحاد إشتراكى حتى الآن فعلى أى أساس نعقد هذا المؤتمر؟... ثم أن المؤتمر لكى يكون ممثلا لأعلى سلطة فى الدولة كلها لابد أن نضمن على الأقل، أنه سيكون مؤتمراً للقوى الإشتراكية الموجودة، وعلى أساس هذه الشروط يمكن أن نقرر متى نستطيع عقد هذا المؤتمر».

وفى مناقشة يقول عبد الناصر بوضوح أكثر: «كنا نعتمد فى الاثنى عشرة سنة الماضية فى العمل الإشتراكى والعمل الوطنى على الجهد الإدارى، وكان إعتمادنا على العمل الشعبي محدوداً، وفى المرحلة التى نمر بها الآن من الواضح أن الإعتماد على العمل الإدارى — يسبب لنا مشاكل وتطورات فى العمل الداخلى، وقد وصلنا الآن إلى مرحلة التحول بين الإشتراكية والقوى المضادة للاشتراكية، وسوف توجد فى هذه المرحلة معركة، والقوى المضادة للإشتراكية تريد أن توقفنا عند الحد الذى وصلنا إليه وهى تعمل بإستمرار وتستطيع أن تتسرب بين تنظيمات الفلاحين وقوى الشعب العاملة فأين هى القوى الإشتراكية التى نعتمدعليها؟

ن هذا يحصل التوتر ولن ينته هذا التوتر الا إذا قمنا بحركة اعتقالات ، ولن نقوم
بهذه الحركة الا إذا كانت هناك ضرورة قصوى لها .. ولذلك فامامنا أمور لابد
ن تحقيقها : أولا العمل الاشتراكى نفسه ، ويجب أن يشعر الناس بان مصلحتهم
في التحول الاشتراكى ، القوى العاملة ، الفلاحون والعمال يجب أن يقتنعوا بان هذا
لتحول الاجتماعى فى مصلحتهم ، وفى الوقت ذاته يجب أن يكون هناك وعى
شتراكى ، وهذا هو عملنا ، وحتى يكون هناك وعى إشتراكى ، يجب أن توجد
يادات اشتراكية تسلك سلوكا اشتراكيا وتناضل من اجل التوعية الاشتراكية
من اجل تثبيت الاشتراكية ، ويجب أن نقوم بهذا من دون النظر إلى كونها فى
لحزب الحاكم ، إن العمل السياسى بالذات هو ما نحتاج إليه حتى نسير فى طريقنا
فى رأيى أنه بعد الغاء الأحكام العرفية لابد أن تعمل الدولة ، وأى خطأ ، سوف
ستغل استغلالا كبيراً من جانب القوى المعادية للاشتراكية » .

حتى لا تزداد المشاكل

وبعد منقاشات طويلة اشترك فيها سيد مرعى وكمال رفعت وحسين خلاف
كز فيها كمال رفعت على مشكلات التموين وتفاقمها وعلى دور الاتحاد الاشتراكى
ى هذا الصدد ، قام عبد الناصر يصارح الجميع واضعا النقط فوق الحروف معلنا
ى شجاعة : « فى رأيى إن المشاكل لن تحل نهائيا ، لان المشاكل إستزداد فى
لمستقبل ، فاذا كان هناك وعى ، وإذا كان الاتحاد الاشتراكى يقوم بدوره
ان الطبقات العاملة التى نركز عليها كقوى اشتراكية تفهم ماهية هذه المشاكل ،
ل التغيير الذى حدث فى المجتمع فى صالح هذه الطبقات أم لا؟ إنه طبعا فى صالحها ،
حدوث هذا التغيير لصالح قوى الشعب العاملة ، يوجد مشاكل مثل مشكلة زيادة

الاستهلاك ، فلو لم يكن التغيير لصالح الطبقات العاملة لكان الاستهلاك قد بقى كما هو من دون زيادة . وإذا عرفت هذه الطبقات ذلك فاننا نتغلب على هذه المشاكل ».

طبقة تأكل وأخرى تجوع

ثم يمضى عبد الناصر طارحاً المشكلة الحقيقية وأبعادها المستقبلة « الحقيقية ، أنه يوجد اليوم « خلل » فى قوى الشعب العاملة ويجب أن نغطى هذا الخلل ، أن المشاكل ستظل موجودة باستمرار ، أننا منذ العام ١٩٥٩ حتى الآن أخذنا ألف مليون دولار مساعدات من أميركا ، بل أن كل رغيفين فى البلد منهما رغيف مأخوذ كمساعدة من أميركا ، فإذا قطعت أميركا عنا هذه المساعدة — وهذا يمكن أن يحدث — فماذا يكون وضعنا ؟ يجب أن نكون مستعدين لمجابهة مثل هذه المشاكل .

ثم يلح عبد الناصر الحاحاً متكرراً على شرح أهداف الخطة للجماهير ، وضرورة إفهام « قوى الشعب العامله أن التغيير فى صالحها برغم المشاكل التى ستقابلنا » ويلح أيضاً على أنه دون مثل هذا التغيير الثورى . فإن البلد ستنقسم إلى طبقتين ، طبقة تأكل وتعمل وطبقة لا تأكل ولا تجد العمل .

ضرورة الكادرات الثورية

ويدور حوار طويل حول الشعارات المطروحة وحول موضوع « الإدخار » وكيف أن العمال يقولون أن الحكومة تفرض الإدخار وتستولى على مدخراتهم ويقترح أنور سلامه وحسين ذو الفقار صبرى وحسين خلاف عقد مؤتمر للعمال لشرح هذه القضية لكن عبد الناصر يعود مرة أخرى إلى الجوهر والأصل : « إن المطلوب منا اساساً هو أن نجد أناساً أو عناصر قيادية أو كادراً ثورياً ، هذا

هو عملنا الأساسى ، إننا نستطيع أن نعقد مؤتمراً سواء كان فى شادر أو فى الجامعة أو فى الشارع ، لكن طالما أنه لا توجد الكادرات الثورية فإن الناس ستحضر ثم تنصرف ولا شىء آخر. اننا نريد أن نبدأ فى تكوين الكادر الثورى الإشتراكى و نجمع القوى الإشتراكية الموجودة ، هذا هو عملنا الأصلى .

ثم يسأل — ربما ليوضح حقيقة الموقف — « من هو الممثل الثورى للاتحاد الإشتراكى فى ... مثلا ؟ . ويجيب أحد الأعضاء قائلا : فلان « ضحك » ويستكمل عبد الناصر « أنت تقيم فى القاهرة ، ولكن من هو الممثل الثورى للفلاحين ؟ » ثم يسأل — فى تحدد — « أين هم الناس الذين يدافعون عن الإشتراكية على أساس أنهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الإشتراكية ؟ قد تقول لى أنهم كل أهل البلد ، ولكن أين القيادات التى يمكن أن تتقدم وأن تقود هؤلاء الناس ؟ » .

أعرف الرجعيين فرداً فرداً

وتدور المناقشة لتعود مرة أخرى حول الكادر الإشتراكى وحول ضرورة تجميع القوى الإشتراكيه . ويقول عبد الناصر : « لا شك أنه يوجد إشتراكيون لكننا لم نعرفهم ولهذا يوجد إنعزال بيننا وبينهم ، لهذا يجب أن نعمل ونكتشف هؤلاء الناس . بالنسبة مثلا للدكتور رشدى سعيد ، أنا هذه أول مرة أراك فيها لكنى كنت أسمع عنك ، وكذلك الحال بالنسبة للأخ إبراهيم سعد الدين ، إذن فالإشتراكيون موجودون فى كل مكان « ولكن كيف نجمعهم وننظمهم ؟ هذا هو عملنا ... الذين معنا ، والذين مع الثورة وهم الإشتراكيون المقتنعون بها لم

نعرفهم لأنهم « تائهون » ... وواجبنا هو أن نجمع هؤلاء الناس وننظمهم فى الإتحاد الإشتراكى . . . وقبل أن تجرى عملية الإنتخابات الجديدة يجب أن نستبعد غير الإشتراكيين ، ونعين فى اللجنة الشخص الإشتراكى الكفء ... ويجب فى عضو الإتحاد الإشتراكى أن يناضل من أجل تدعيم الإشتراكية ، وعملنا الأساسى هو تجميع كل العناصر الإشتراكية ، أننا نجد أن الرجعيين يتجمعون ، لو ذهبنا إلى نادى الجزيرة نجدهم هناك ، ونجدهم فى النقابات وفى البيوت ، نحن نعرف الرجعيين وأنا لو سألت عنهم أعرفهم فرداً فرداً ، ولكن لو سألت عن الإشتراكيين فإنى لا أعرفهم كلهم لأنه لم تأت فرصة لممارسة الإشتراكية حتى نعرف هؤلاء الإشتراكيين .

ويجرى حوار حاد بعض الشىء — إبراهيم سعد الدين يلاحظ أن عبد الفتاح أبو الفضل يتصور أن الأكثر ثقافة هو الأكثر وعيا فيقول : « ونحن لانستطيع أن نفترض أن الأكثر تعليما أكثر إشتراكية ، ومن ناحية أخرى فإن المسألة فى أساسها هى مسألة سلوك وإقتناع داخلى ، ثم يعود عبد الفتاح أبو الفضل ليطالب بأن يكون « رئيس مجلس الإدارة فى الشركة هو أمين سر لجنة الإتحاد الإشتراكى بالوحدة » ويرفض عبدالناصر ذلك مؤكداً أن « هذا ليس حلا للمشكلة » .

وعندما يشير رشدى سعيد إلى الحقل الثقافى قائلا « إن جميع الكتب تؤكد الأسلوب القديم » يؤمن عبد الناصر على كلامه قائلا : « لقد جاء فى بعض الكتب أن الشيوعية والإشتراكية ضد الدين » ثم يقول « لقد أرسل لى أحد الناس كتابا تعرض فيه المؤلف للإشتراكية والشيوعية بصورة غير واقعية فطلبت سحب هذا الكتاب ، ولو أن الإتحاد الإشتراكى قام بالعمل واتصل بالناس فسوف تحل هذه المشاكل » .

ويشكو كمال رفعت من محاولات لحرمان لجان الإتحاد الإشتراكى فى المصانع من المشاركة فى مناقشة الموضوعات المتعلقة بالعمل لأن مهمتهم هى السياسة ... ويرد عبد الناصر « ما هو مفهوم الديمقراطية الإشتراكية ؟ أما إن نوجد أحزاباً وتكون الديمقراطية عن طريق الأحزاب ، وأما أن « تنزل » الديمقراطية إلى جميع المستويات . يجب ألا نلقى العيب على الناس بينما نحن الذين تركناهم، لانقول العيب على العمال ولا على مجلس الإدارة لأننا لم نقل للعمال ولا لمجالس الإدارة أن الديمقراطية الإشتراكية فى المصنع هى كذا وكذا بحيث يعرف كل واحد دوره . ثم ماهى السياسة ؟ أن مجلس الإدارة قال للجنة الإتحاد الإشتراكى أن عملها منحصر فى السياسه فهل السياسة هى أن ترسل اللجنة برقية للرئيس جمال عبد الناصر بتأييد مؤتمر عدم الإنحياز مثلا ؟ لابد أن نقول لهم ما هى السياسة فى الوضع الجديد وفى المرحلة التى نمر بها . . . مرحلة الإنتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية ».

وعند الحديث عن مهام العلاقات الخارجية بالأمانة العامة حث عبد الناصر على ضرورة — الاهتمام بالحوار مع الأحزاب الشيوعية والاشتراكية فى مختلف أنحاء العالم وقال « بالنسبة للأحزاب الاشتراكية الديمقراطية مثل حزب جى موليه بفرنسا ، اعتقد أنه انحرف وسار فى طريق اليمين ونحن نعتبر أفضل منهم، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نعمل معهم ونتصل بهم وبالحزب الاشتراكى الايطالى ، ولا مانع من عمل إتصالات بالأحزاب الشيوعية مثل الحزب الشيوعى الايطالى » .

وفى الجلسة التالية قدم فى بدايتها حسين الشافعى تقريراً بعنوان « خطة العمل » وتعليقاً على التقرير قال عبد الناصر « لا بد من ترك كل شىء والتركيز على التنظيم والاختيار .. إذا وجد التنظيم فستتحرك هـــذه المشاكل ، ثم إنى لا أتفق مع الدكتور طراف فيما قاله من أن التنظيم موجود ... هو موجود على الورق فقط ، ولن يكون التنظيم موجوداً إلا إذا وجدت المسئولية ووجد الكادر » .

ثم يعود عبد الناصر ويلح من جديد حول موضوع الكادر ويقول « أمامنا عمليتان .. عملية التفسير وتنشيط الاتحاد الاشتراكى القائم فعلا وإلا انقلب علينا ، والعملية الأخرى عملية تنظيم الكادر من الاتحاد داخل الاشتراكى .... بهذا نلم العصب الذى يجب أن يكون فى الاتحاد الاشتراكى لأنه من دون هذا العصب لن يكون للاتحاد الاشتراكى تأثير كاف » .

ويتكلم عبد الحكيم عامر فيقول : « توجد مشكلة سوف تواجه الاتحاد الاشتراكى حتى بعد عملية التنشيط والاستكشاف ، وهى أن الاتحاد كقوة ليس أمامه قوة مضادة ظاهرة ، ولذلك لا يشعر الاتحاد الاشتراكى بأنه يوجد تحدى » .

ويرد عبد الناصر قائلا : « تعليقاً على كلام الأخ عبد الحكيم عامر أقول أن لدينا مشكلة « أعوص » مما قاله ، لأن العناصر المضادة موجودة فعلا داخل الاتحاد الاشتراكى ... بينما يقول الأخ عبد الحكيم أنه لا توجد عناصر مضادة ظاهرة لكى يأخذ الاتحاد الاشتراكى منها حماساً للعمل .. إن المشكلة هى أن العناصر المضادة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر « حركية » ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى وجود العناصر الحركية المخلصة » . . .

ثم يمضي قائلا : « حقيقة أنه يجب أن ننشط الاتحاد الاشتراكي ولكن يجب أن يوجد داخل الإتحاد الإشتراكي الحزب الإشتراكي المرتبط ، والذى يحرك ويرعى الجماهير » . ثم يعود إلى الموضوع ذاته فى حوار مع حسن إبراهيم ليؤكد أنه «من دون هذا الجهاز السياسى الذى أسميه الحزب الإشتراكي لن نستطيع أن نقود الجماهير أو نتصدى للقوى المضادة » .

وتناقش قضية الإنتخابات ويقدم إقتراح باجراء إنتخاب على أساس انزال قائمة لمرشحى الاتحاد الإشتراكي وطلب التصويت عليها ويرفض عبد الناصر « لأننـــا لو سرنا بطريقة القائمة سيستمر الخطأ لأنه ستوجد شلتان ، شلة قوية وأخرى ضعيفة . أو توجد مجموعتان ، مجموعة ذات حماية وأخرى ليس لها حماية وأنا أقول ان الديمقراطية هى التى تحل لنا هذه المشاكل ... وأنا وصلت إلى هذا بعد تفكير طويل جداً لدرجة أن تفكيرى وصل فى بعض الأوقات أن نقوم بعمل حزبين إشتراكيين وكل حزب منهما ينزل الإنتخابات ، لكن وجدنا أن هذا التفكير خاطىء لأننا سوف نقسم القوى الإشتراكية التى لم تتجمع أصلا . وفى الحقيقة يوجـــد الآن حزبين ... حزب رجعى وحزب إشتراكى ، الحزب الإشتراكى هو الذى نتكلم عنه الآن ، والحزب الرجعى موجود بصفة غير رسمية فلو قسمنا الحزب الاشتراكى إلى قسمين فكأننى قسمت القوى الإشتراكية الموجودة إلى قسمين صغيرين ، ولكن بعد أن نقضى على كل الرواسب الرجعية والاستغلالية يمكن أن نوجد حزبين إشتراكيين » .

ويعلق رشدى صعيد قائلا : « هذه عملية صعبة جداً » ويرد عبد الناصر « بل هى عملية مستحيلة فى الوقت الحاضر » .

... وتستمر اجتماعات الأمانة العامة ، ويواصل عبد الناصر حضورها مصراً على انجاح التجربة ...

٣ ضرورة بناء الحزب داخل الاتحاد الاشتراكى

وكان عبد الناصر يخشى أكثر مايخشى من اختلال التوازن الطبقى داخل الاتحاد الاشتراكى ، وكان يشعر بخاطر هيمنة الطبقة الوسطى أو ما يسمى « بالرأسمالية الوطنيه » وحاول أن يقاوم ذلك .

وتعليقاً على نشاط أمانة الرأسمالية الوطنية تجرى سلسلة من المناقشات الحادة والتعليمات الصارمة والقفشات الضاحكة .

— عبد الناصر : أخشى أن نجـد ، أننا كتلنا الرأسمالية الوطنية فقط لأنها متكتلة وجاهزة فعلا ومن السهل تجميعها أما بقية القطاعات أو قوى الشعب ، فسنجد أننا لانستطيع تجميعها .أن عملية الأخ أمين الرأسمالية الوطنية سهلة جداً .

— عامر : أى أن الرجعية جاهزة .

(ضحك)

— عبد الناصر : يجب أن تفرق بين الرأسمالية الوطنية والرجعية .

— أمين الرأسمالية الوطنية : أرجو أن يقتنع سيادة المشير بهذا .

(ضحك)

- عبد الناصر : أنت الذى يجب أن تثبت ذلك .

(ضحك)

وعبر جلسات عدة يكرر عبد الناصر أكثر من مرة تحذيره من تزايد دور « الرأسمالية الوطنية » .. أو من إهمالها فتصبح فريسة للرجعية .

* * *

وحول القرارات الاشتراكية التى صدرت فى سوريا — فى ذلك الحين — يدير عبد الناصر فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى حوارا بالغ الأهمية ، يعبر عن منطق ينظر فى الأساس للمحتوى العام للحركة العربية، ويدرك ضرورة مساندة أى خطوة إشتراكية أو تقدمية فى أى بلد عربى حتى ولو كانت حكومة مصر على خلاف معه ، ويحاول البعض أن يشكك فى الاجراءات أو فى جدواها، محاولا لمس الجراح القديمة ، وإستثارة عبد الناصر ضد الحكم البعثى فى سوريا . ويرد عبدالناصر ، فى وضوح تام أنه يستشعر احتمالات قوية للقاء — على المدى الاستراتيجى — مع الحكم فى سوريا ... محذرا — هؤلاء البعض — من انه وبرغم الخلافات مع سوريا فإنه لا يمكن أن يهاجم الاجراءات الاشتراكية الا الرأسماليون .

* * *

وحول استقلال الجامعات يجرى حوار حاد ، يحدد فيه عبد الناصر مفهومه الخاص حول نوعية ومساحة الاستقلالية التى يمكن أن تتاح أمام المؤسسات ذات الطبيعة الخاصة كالجامعات والقضاء .

والحقيقة أنه من دون التعرف على هذا المفهوم كما أورده عبد الناصر واضحاً ومحددا ، ومفصلا فى هذه الوثائق ، فانه يصعب فهم الكثير من جوانب التجربة الناصرية .

ولعل هذه الزاوية تمثل واحدة من الزوايا الأخرى التى تضفى على هـــذه
ثائق أهمية خاصة ، ذلك أن « المتاح » أو « المنشور » من آراء عبد الناصر
يلمس هذه الناحية من قريب أو بعيد بالرغم من أهميتها الخاصة فى تكوين الفكر
صرى عموماً .

* * *

وأيضاً حول دور مجلس الأمة يدور حوار مهم يؤكد فيه عبد الناصر، أكثر
مرة ، أن المجلس يجب أن تتاح أمامه حرية الحركة ، وقال « اننا لا نريد أن
تكلبش » المجلس ويجب أن يأخذ المجلس وضعه كمجلس نيابى » .

ولكن عبد الناصر يخشى دوما من أن تفلت الأمور لصالح الرجعية ، ومن ثم
جب « ألا نترك المجلس يضرب ... يقلب » .

وتمثل هذه الأفكار الصريحة الواضحة أيضاً جزءاً أساسياً من معالم التجربة
صرية ، جزء ضرورى لدى كل محاولة جادة لفهمها .

* * *

وعن أشياء أخرى مهمة يتكلم عبد الناصر عن الحزب ، عن القوميين العرب
، الإشتراكية التى يؤكد أنها شىء واحد ولكن الطريق إليها هو الذى
تلف .

« والمهم أنك فى كل خطوة ، وفى كل صفحة تعثر على شىء جديد ومهم »
وفى الجلسة الرابعة ــ أيضاً ــ يواصل عبد الناصر التركيز على قضية التنظيم

وضرورة الإسراع بانتقاء كوادر موثوق بها، ويحدد شروطه للكادر قائلا أنه « يجب أن يتوافر فيه شرطان ... أن يكون قيادياً حركياً، وأن يكون مؤمناً بالنظام الإشتراكى ومخلصاً له » أى يجب «أن يكون قادراً على أن يعطى التوجيهات وأن يبلغنا أيضاً بالآراء الموجودة بالقاعدة . هؤلاء هم الذين نريدهم، إننا لا نريد اناساً يجلسون فى المكاتب يقرأون ورقا ويرسلون تقارير أننا نريد أناسا يعملون فى وسط الجماهير، ومن دون هذا لن نستطيع أن نتشعب فى وسط الأجهزة المختلفة والجماهير المختلفة الموجودة فى البلد ».

وهو يدرك أنه يبحث عن عملة نادرة، وأن الكثيرين ممن يتقدمون إليه يمكن للواحد منهم أن ينقلب ضد الثورة «بين يوم وليلة» . ويدرك « أن عدد الإشتراكيين قليل، وكذلك عدد الحركيين أيضاً، والعدد الذى يهتم بالعمل العام قليل، وهو يفسر ذلك بفكرة تقول « أن هذا راجع إلى طبيعة التنظيم والتكوين، وإذا نظرنا إلى العالم كله نجد الإشتراكية فرضت فرضاً عن طريق قلة من الأفراد . وحتى أصحاب المصلحة فى الإشتراكية تستطيع الرجعية التى تكونت مدى آلاف السنين أن تؤثر فيهم، فالعمال والفلاحون هم أصحاب المصلحة ولكن هل هم اشتراكيون هل نستطيع أن نعتبر كل عامل عنصراً اشتراكيا ؟ أنا رأيى أن — الإشتراكية تمشيها القلة التى تستطيع أن تقود . فى العالم كله نجد دائما فى كل دعوة من الدعوات أن القلة هى التى استطاعت أن تكافح وتقود .

ولعل التعرف على عبارة كهذه، ضرورى تماما لدى كل محاولة للتعمق فى دراسة التجربة الناصرية أو تقييمها .

المهم أن عبد الناصر ظل يواصل بالحاح الحديث عن الكادر وعن التنظيم . . وفى الجلسة الخامسة يعود فيذكر الجميع انه يكرر ويلح « إننى أريد أن أثير نقطة ،

وأنا أركز على هذه النقطة فى كل جلسة ... أننا نريد القيام بعمل تنظيم سياسى فاذا عقدنا مؤتمرات دون أن نوجد هذا التنظيم نكون قد اتجهنا إلى غير الإتجاه اللازم .ونحن نقوم فعلا بهذه الأعمال منذ ١٢ عاماً من دون أن تكون لها نتيجة ، وأنا أخشى أن ينقلب الإتحاد الإشتراكى نفسه وأماناته إلى أجهزة بيروقراطية إذا لم نعرف ما هو هدفنا » .

ويشكو عبد الناصر من أن عجز التنظيم السياسى يجبره على اللجوء إلى المباحث العامة وأجهزة الامن كى يحصل منها على معلومات عن الاشخاص وعن الاوضاع العامة .

ومرة أخرى فان المطلوب ليس هو بالتحديد الاتحاد الإشتراكى وإنما هو « تكوين الحزب الإشتراكى فى كل محافظة ، فى رأيى أن الإتحاد الإشتراكى بوضعه الحالى لا يستطيع أن يقوم بالعمل السياسى لأن الأعضاء الموجودين فيه يمثلون عناصر ثورية وعناصر مضادة للثورة . . وعلى هذا الأساس فانه يجب فى اتصالاتنا أن نعمل على إيجاد ركيزة للحزب الاشتراكى فى كل محافظة تمثل تكتل القوى الإشتراكية . . . وأنا أقول « حزباً » لكى أوضح الموضوع ، وبذلك يكون هناك إتحاد إشتراكى يجمع الناس كلها . . وفى الوقت ذاته يكون هناك إشتراكيون منظمون وأنا أعتبر أن خطوات عملنا يجب أن تنحصر فى هذا البند فقط حتى لا نشتت جهودنا » .

لكن عبد الناصر يحذر أيضاً من أن يكون تجميع الإشتراكيين فى حزب سبيلا لعزلتهم عن الستة ملايين عضواً بالإتحاد الإشتراكى بحيث تترك هذه الملايين نهباً لنفوذ الرجعية بل انه فى إحدى الجلسات يحذر أمين الرأسمالية الوطنية

قائلا : « يخشى أن تشد حيلك وتنظم الرأسمالية الوطنية بينما لا تزال بقية الأمانات لم تنظم نفسها » ويقول : « إن عملية الرأسمالية الوطنية عملية « جمع » أكثر منها عملية تنظيمية ، وهدفنا أن تكون الرأسمالية الوطنية إلى جانبنا وألا تكون فى جانب الرجعية ، لأنه سيكون بيننا وبين الرجعية صراع حول أخذ هذه الطبقة » .

وفى هذه الناحية فان عبد الناصر يعالج الأمر بحرص بالغ وحساسية خاصة بل إنه يؤكد انه بالنسبة للتجار « قد حدثت أخطاء فى التطبيق وكان هناك ميل إلى اليسار . . وأنا أعتبر أن هذا هو سبب الخلل . . كان رأيى أنه لا بد أن نتمهل فى قطاع التجارة لأنه أصعب القطاعات . بالنسبة لتجارة الجملة فمن رأيى ألا تتدخل فيها الحكومة إلا إذا كانت مستعدة » .

وحول العلاقة بين التنظيم السياسى والمؤسسات الأخرى يجرى حوار، بل صراع .

ويحاول البعض أن يفاضل بين النقابة وبين التنظيم السياسى فيرد عبد الناصر فى حسم « التنظيم السياسى هو الموضوع رقم (١) ، وليست النقابة هى الموضوع رقم (١) فى الاهمية . وبهذا يكون التظيم السياسى له تأثير فعلى على النقابات ويكون هناك تفاعل بين النقابات وبين التنظيم السياسى ، وهذا هو تصورى للعمل، ونحن إذا أخذنا النقابات بشكلها الحالى سنجد أن هناك انفصالا بين النقابات والتنظيم السياسى » .

ويحاوره الكثيرون حول فكرته هذه ، ويدور الحوار ليستغرق صفحات

عدة لكن عبد الناصر يعود فيلخص رأيه فى جملة قاطعة « يجب ألا يصل الرجعيون إلى مجالس إدارة النقابات » .

ويثار موضوع استقلال الجامعات وتعقيبا عليه يقول عبد الناصر « قد يجتمع الأطباء فى وزارة الصحة ويقولون إنهم مستقلون ، وأن مستشفى القصر العينى بما فيه من فساد مستقل أيضاً ، فكيف نكون مسئولين عن دولة كل واحد فيها مستقل، ما هو استقلال القضاء ؟ ان رئيس الجمهورية هو الذى يعين رؤساء المحاكم وله حق التوقيع على الحركة القضائية لإعتمادها وله أيضاً ألا يعتمدها .. فهل معنى هذا أن القضاء غير مستقل ؟ إن استقلال القضاء مقصود به ألا نتدخل فى حكم القاضى بأن نهدده بالفصل مثلا إذا لم يحكم بشكل معين فى قضية معينة..أما إذا قلنا أن الجامعة مستقلة فلا داعى لوجود وزير للتعليم العالى ، ولا يستطيع مجلس الأمة أن يناقش موضوع الجامعة لأنه لا يوجد مسئول عن الجامعة فى السلطة التنفيذية .. إذن من المسئول عن الجامعة المصرية ؟

ثم يعود فيقول «أن الجامعة يمكن أن تكون مستقلة لو كانت تدار برأسمال خاص. لكن الحقيقة أننا نحن الذين نمول الجامعة . . فكيف يمكن — فى هذه الدولة المسئولة عن كل شيء — أن نقول أن الجامعة مستقلة ولا شأن للدولة بها ؟ »

ويقول رشدى سعيد تعليقاً على ذلك «أن استقلال الجامعة فى ناحية واحدة ، هى أن يقول الأستاذ فى محاضراته مايريد» .

ويرى عبد الناصر «أن هـــذا غير ممكن . . . وأنا مثلا قرأت فى وقته

من الأوقات كتاباً لطعيمة الجرف فوجدت أن معنى ما جاء به أننا نحكم البلد حكما بيروقراطياً استبدادياً ديكتاتورياً ، وهو يدرس ما كان يقال فى سنة ١٩٣٧ فى الجامعات » .

أما عن مجلس الأمة فقد كان لعبد الناصر موقف آخر تجاهه « اننا لا نريد أن نكلبش المجلس لأسباب عدة فعندما جاء هذا المجلس قيل أنه سيكون مجلس « نعم » وقيل أيضاً أنه سيحدث ضغط من الحكومة على المجلس ، وقد سمعنا كل هـذا الكلام . . ولذلك يجب أن يأخذ المجلس وضعه كمجلس نيابى ، بمعنى أن يتكلم فيه كل من يريد الكلام وفى الوقت ذاته يجب أن تنظم أنفسنا داخل المجلس وقد نستغرق فى ذلك أشهر عدة وبمجرد أن ننظم أنفسنا سنجد المجلس قد « انعدلت » فيه الأوضاع وهذا أمر طبيعى .. ولا بد أن يشعر الناس أنه ليس من الضرورى فى كل موضوع أن « نقفل باب المناقشة لنعود إلى جدول الأعمال (ضحك) . . . ونحن فى الحقيقة — فى عمليتنا الديمقراطية السليمة — نهدف إلى أن تكون لدينا أجهزة قوية لا أجهزة صورية » .

وفوق ذلك فان عبد الناصر يعلن « إننى لا أمانع أن يقف عضو فى مجلس الأمة ويطالب بتحديد الحيازة الزراعية بخمسة وعشرين فداناً ، بل أكثر من ذلك لا مانع فى أن يطالب بتأميم الأراضى الزراعية ، ثم تحصل مناقشة فى هذا الموضوع ثم لا يوافق المجلس على هذا الكلام . . فننظم من دون أن « نكلبش » ، وسنجد أن التنظيم مع حل العقد الموجودة لدى بعض الناس فى المجلس ، يسيران المجلس بطريقة ديمقراطية سليمة » .

وإذا ما أتينا إلى رؤية عبد الناصر العربية نجد مسائل تستحق الإهتمام والتأمل فعندما صدرت القرارات الإشتراكية فى سوريا حاولت أجهزة الاعلام المصرية إنسياقا وراء موقف التناقض مع حكم البعث فى سوريا أن تتجاهل الأمر، بل لعلها حاولت أن تقيمه تقييما خاطئاً ... لكن عبد الناصر يفتتح الجلسة السادسة للأمانة العامة فيقول « بالنسبة للقرارات الإشتراكية التى صدرت فى سوريا فأنى أرى أنه بصرف النظر عن موقفنا من حزب البعث والخلافات الشخصية إلى آخر هذا الكلام ... من واجبنا أن نؤيد الخطوة الإشتراكية التى تمت فى سوريا، والحقيقة أن موقفنا حتى الآن غير سليم من الناحية الصحفية .. — فالذى نشر فى الصحف واضح فيه الناحية الشخصية .. وأنا فى رأيى أن البرجوازية السورية كانت أعتى برجوازية فى المنطقة، وفى رأيى أنه لا بد أن نؤيد هذه الخطوات، وليس معنى ذلك أن نؤيد البعث كحزب بعث، ولكن إذا لم نؤيد هذه الخطوات فان « شكلنا » كاشتراكيين سيبدو غريباً، ونظهر وكأن العملية عملية شخصية فقد أيدنا عبد السلام عارف عندما أمم بعض الشركات بينما أممواهم ١١٥ شركة، وفى رأيى أن البرجوازية فى سوريا قد انتهت، وقد كان « ثأرنا » فى سوريا أساساً مع البرجوزية ».

ثم يمضى عبد الناصر قائلا « إن عمليتنا مع حزب البعث — كما أتصورها كعملية استراتيجية — لا بد أن يكون شأنها أن نلتقى مع الحكم فى سوريا — وان كان من غير الضرورى أن نتحد معها — طالما أن هذا الحكم يسير فى الطريق الإشتراكى، فان مصلحتنا وأوضاعنا تحتم علينا هذا التلاقى. إن الدوائر التى تعارض هذا هى الدوائر الرأسمالية فى لبنان ».

ويحاول البعض أن يرفض هذا المنطق قائلا أنهم قد يتراجعون عن التأميمات بعد فترة ويرد عبد الناصر « هذا غير محتمل الحدوث » ويصمم هذا البعض مؤكدا عدم جدية هذه الإجراءات فيرد عبد الناصر فى حسم « أنا فى رأيى أن أى خطوة إشتراكية وأى خطوة تقدمية فى أى دولة عربية لا بد أن نساندها ، وليس معنى ذلك أن نساند فقط الحاكم الذى يسير معنا ونقف ضد من لا يسير معنا ، لا بد أن يكون مبدؤنا الإشتراكى واضحاً . وأنا اعتبر أن ذلك يساعدنا كثيراً فى المستقبل، ويمكن اعتبار ضرب البرجوازية السورية مكسباً كبيراً جداً مهما كان الذى يضربها لأنها أسوأ وأسمالية فى المنطقة العربية كلها .. إنهم بالتأميم دخلوا فى معركة . . وأنا أعتبر أنهم وصلوا فى التحول الإشتراكى إلى نقطة اللارجوع » .

ويعود « المحاور » مرة أخرى ليشكك فى الإجراءات وفى جدواها . . فيقول عبد الناصر « أن من صالحنا أن تنتشر الدعوة الإشتراكية .. وأنا لا أقول إننا نؤيد حزب البعث ، وإنما نؤيد العمل الإشتراكى » .

وحول قضية أخرى لم تزل غامضة حتى الآن ، وهى موقف علاقة عبدالناصر بحركة القوميين العرب، يثور نقاش عاصف لعله بذاته يوضح كيف أن الأفكار كانت تتلاطم فى بعض الأحيان مع القائمين بالتنفيذ . . .

والسؤال من مسئول الشئون العربية « أريد أن استوضح موقفنا من تنظيمات القوميين العرب » .

والجواب من عبد الناصر « هناك تعاون كامل بيننا وبين القوميين العرب ».

ويتكرر السؤال مرة أخرى وفى الجلسة ذاتها يثار نفس السؤال . . ويدور حوار آخر :

— « نحن متعاونون مع القوميين العرب فى كل البلاد العربية ».

— « إنهم يستندون على أساس أنهم مرتبطون بالقاهرة » .

— « هذا حقيق . . ثم أن القواعد التى معهم هى قواعدنا التى لم تنظمها نحن ، فهم يعتمدون على القواعد التى تسير مع القاهرة » .

— « لقد أثرت هذا السؤال لأن المفروض أن نبدأ التنظيم بالنسبة للبلاد العربية ».

— هم لهم تنظيم ونحن سنعمل تنظيما . . ولا تعارض بين الاثنين » .

— « سنتعاون معهم إذا كانوا مستعدين لأن « يذيبوا » أنفسهم وهم لهم قواعد ، غير موجودة ، جاهزة » .

— « إذا كنا سنعمل تنظيما فيجب ألا نقول لهم (اعطونا قواعدكم) » .

ولعل فى هذا الحوار ما يكفى لإيضاح نوعية الإختلاف بين العقليات فى مجال العمل العربى ، وكيف أن البعض من الذين أوكل لهم التنفيذ فى المجال العربى ، قد نجحوا برغم الأفكار الواضحة والمحددة التى تمسك بها عبد الناصر فى مواجهتهم فى أن يفرضوا رويدا رويدا — وإلى حد كبير ـ أفكارهم وأساليبهم هم .

وسريعاً نمر على الصفحات الباقية لكن عبارة مهمة تستوقفنا لأنها ذات دلالة حاسمة . عبد الناصر يعود فيتكلم عن الإشتراكية وضرورة دراستها دراسة أكثر عمقاً وأهمية « أن نخلق بتصورنا نحن طريقا إلى الإشتراكية » . ثم يؤكد فى كلمات قاطعة « أنا أقول أن الإشتراكية شىء واحد . . ولكن الذى يختلف هو الطريق إليها » .

إنها كلمات تستحق من الكثيرين أن يتأملوها .

٤ الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى

ويستمر الحوار مرة ثانية وثالثة حول موضوع « إستقلال الجامعات » ولعل تكرار إثارة الموضوع ، وبحساسيات شديدة وتعقيدات مبالغ فيها ، يعكس وبما أكثر من غيره - علاقات ثورة تموز (يوليو) بالمثقفين عموماً ، وارتباط هذه العلاقة بموضوع الديمقراطية بشكل عام .

كذلك تناقش الأمانه العامة للإتحاد الإشتراكي العربي في اجتماعاتها التالية ، والتي حرص عبد الناصر - أيضاً - على أن يترأسها وأن يسهم في الحوار الدائر فيها إسهاماً كبيراً ومتعدد الجوانب ، تناقش سلسلة من القضايا المهمة ، والتي تزايدت أهميتها وبرزت بشكل أكثر إلحاحا بمضي الزمن وإن كانت الأسس الفكرية والنظرية لتناولها ومعالجتها قد أرسيت أو تحددت معالمها الأولية، خلال المناقشات التي دارت في هذه الاجتماعات ، وتحدد معها كثير من المسارات السلبية والإيجابية في تناول قضايا مثل : الأراضي المستصلحة وكيف يجري التصرف فيها ؟ الحراسات وأسلوبها ؟ الموقف من الرأسماليين المتوسطين الذين يمارسون دوراً استقلالياً ، أو يخربون الاقتصاد القومي أو يضعون أمامه عقبات ؟ .

* * *

وبرغم تنوع الموضوعات وتشعبها، وأهميتها أيضاً ، فإن موضوعاً يظل راسخا في كل الجلسات ليناقش ويفحص ، ثم يعاد فحصه ومناقشته ، وعبد الناصر يلعب في مناقشته دور « المايسترو » الذي يبحث عن « هارموني » متوافق قادر على التجمع ، وعلى التأثير معا ، ومتسق مع المنطق العام لرؤية النظام للعمل السياسي وأساليبه ، هذا الموضوع هو الإتحاد الإشتراكي والتنظيم الخاص والعلاقة بينهما ، وأسلوب تطويرهما معا .

لكن هذه الجلسات تثير زوايا جديدة للموضوع :

اسم « التنظيم الخاص » وهل يسمى الحزب الاشتراكى ؟ أم التنظيم السياسى أم الطليعى ؟ أم الخاص ؟ ويثار أيضاً موضوع العلنية والسرية وتجرى مناقشات مستفيضة ومثمرة ، وتكون أهميتها بالنسبة لنا،هى أنها تشكل قاعدة فكرية مهمة لتفهم وإدراك الكثير من الحقائق والنتائج التى ترتبت على ذلك — بسلبياتها وإيجابياتها .

* * *

وحول إسرائيل يدور نقاش أيضاً ... له أهميته الخاصة ، عضو فى الأمانة يثير قضية متعلقة بتداول كتاب يدرس الأوضاع فى إسرائيل ، وينتقد ذلك !

لكن عبد الناصر يؤكد و يلح على ضرورة دراسة وفهم الأوضاع فى إسرائيل وتناولها على أساس علمى دقيق .

ويستنكف العضو إيراد اسم إسرائيل - مسبوقاً بكلمة « دولة » ويرد عليه عبد الناصر باستفاضة ووضوح .

فماذا يكون رأى عبد الناصر فى إستخدام عبارة « دولة إسرائيل ؟ »

* * *

ولعبد الناصر رأى مهم فى الحزب الشيوعى السودانى وفى التكوينات الحزبية المختلفة التى كانت قائمة فى السودان فى ذلك الحين .

فما هو هذا الرأى ؟

مخاطر استقــلال الجامعة :

ويثار موضوع « إستقلال الجامعات » مرتبطاً بالوضع العام وبموضوعات الحريات السياسية ودور المؤسسات الدستورية ، فقد تفجر الموضوع فى مجلس الأمة وطالب د . أحمد خليفة عضو مجلس الأمة وعضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى باستقلال الجامعة وبانتخاب العمداء . . وكان النقاش حادا ، وكان جديداً فى حدته وحيويته على المناخ العام السائد ، وعقدت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى اجتماعاً لمناقشة الأمر ، ثم نوقش فى الأمانة العامة ثم أعيدت مناقشته عندما تحدث أحمد خليفة ليشرح وجهة نظره فى بداية الجلسة السابعة من جلسات الأمانة العامة «انى أنادى بالإنتخابات فى الجامعات لأن دعوة الانتخاب لا يمكن أن تكون رجعية وإلا كان مجلس الأمة قائماً على فلسفة رجعية . . وأحب أن أقر أمام سيادة الرئيس أن تعبير إستقلال الجامعات الذى استخدمته فى كلمتى لم يكن تعبيراً موفقاً ، وأنه تعبير يعود إلى فلسفة سياسية قديمة وقت أن كانوا ينادون بفصل السلطات . . وإنما الذى أقصده معناه أن الجامعات يجب أن يتوفر لها الاحترام والتقدير والتوقير الخاص . . وأنا عندما وقفت فى مجلس الأمة وهاجمت سياسة وزارة التعليم العالى كنت اعتقد فى كل كلمة أقولها ، لأنى أتصور أن سياسة وزارة التعليم العالى قد أدت إلى قيام حائط عال بين الثورة وبين رجال الجامعات » .

ويعلق عبد الناصر على هـــذا المفهوم ، بمفهوم متكامل آخر « أنا سمعت كل المناقشات التى دارت فى المجلس حول هذا الموضوع ، وأنا لم أقل إننى لم أسعد بما قلته ولكنى قلت أنه جانبك التوفيق عندما تكلمت عن إستقلال الجامعة لأنه لو كانت الجامعة مستقلة فانه لا يمكن أن يناقش هذا الموضوع فى مجلس الأمة . . لا توجد أى جامعة فى العالم مستقلة . . والحقيقة أنه توجد فى الجامعة فوضى كاملة

وعدم شعور بالمسئولية ولو أنه يوجد بعض الأساتذة عندهم شعور بالمسئولية ... يجب أن نقوم كل انحراف موجود فى الجامعة ، لكننا نسمع كلاما عن استقلال الجامعه ، فاذا كانت الجامعة من غير استقلال قد وصلت إلى هذا الحد، إذن لو استقلت فسوف تغلق الجامعة وما زال الإيمان بالإشتراكية ، والإيمان بالشعور بالواجب مفقوداً إلى حد كبير بين الناس ».

ويشبت بعض أعضاء الأمانة بالنقاش ... أحمد خليفة يؤكد « وجود أزمة ثقة بين الجامعة والثورة » وحسين خلاف يقول « يجب أن نعترف بأنه — فى بعض الفترات — حصل نوع من الضغط المبالغ فيه ، بمعنى أن بعض الذين تولوا أمر الجامعة اعتقدوا أنه من الواجب حصر الفكر فى مجال معين » .

ثم يروى عبد الناصر « الواقعة » التى تسببت فى إنعدام الثقة ... « بالنسبة لأزمة الثقة فان الثقة كانت مفقودة بيننا وبين الجامعة بعد العام ١٩٥٤ والحوادث التى جرت فيه » ثم يحلل علاقة « الثورة » بشكل عام « بالجامعة » ، الجامعة تمثل مجموعة محافظة ، وعلى هذا الأساس فانه فى جميع الثورات تقريباً حصلت مشاكل بينها وبين المثقفين . وفى الصين كتبوا عن هذا الموضوع ، وأتذكر أن ماوتسى تونغ يرى أن حل مشكلة المثقفين فى الصين ، هو أن يتخلص منهم ويعطيهم لشانغ كاى شك لكى يسببوا له مشاكل ويخلصوا عليه » (ضحك) .

الإتحاد الإشتراكى « كل من هب ودب »

ويعود النقاش إلى موضوع التنظيم ، عندما لاحظ عبد الناصر أن حل مثل هذه القضايا يتعلق فى الأساس بالعمل السياسى وتعزيزه ، ومن خلال الاقتناع بأن

الإتحاد الإشتراكى عاجز من دون وجود جهاز طليعى فى داخله عن القيام بدوره ويقول عبد الناصر : « ان الإتحاد الإشتراكى يجمع كل « من هب ودب » فاذا أردنا أن ننجح فى بناء قاعدة إشتراكية لابد أن ننظم على مستوى أصغر ، أننا نلف حول هذه النقطة ولا نواجهها مواجهة صريحة حتى الآن ، وأنا أعتبر أنه قد آن الاوان لكى نواجهها مواجهة صريحة ، وحتى تاريخنا ، لم يستطع احد أبداً أن يقيم فكرة معينة على أساس جميع كل الناس . . . أما بالنسبة للستة ملايين عضو فان العملية مستحيلة » ثم يقول . . . « يجب أن يكون هدفنا هو تنشيط الاتحاد الاشتراكى والتنظيم السياسى وإلا — كما أعتقد — فسوف نقع فى أزمة وينهار الاتحاد الاشتراكى « كالقش » ويوضح عبد الناصر الفارق الأساسى بين تنظيمات الثورة الأخرى « هيئة التحرير » والاتحاد القومى » وبين « الاتحاد الإشتراكى » فنحن نريد أناسا يتبنون المبادىء الإشتراكية ويحاربون فى سبيلها ، ويضحون بوقتهم ويعملون ليل نهار فى سبيلها ، فمثلا بالنسبة للثورة المصرية، فقد قام بها عدد قليل لا يتعدى مائة ضابط من أربعة آلاف ضابط، ولو حاولنا أن نجمع الأربعة آلاف ضابط ، لكننا لا زلنا نجمع فى هذا العدد حتى الآن ، وفى الحقيقة أن عملية التركيز على « العلة » عملية مطلوبة » . . . ثم يشير عبد الناصر فى لمحة سريعة إلى البعد الطبقى لهذا الأمر « فلو أردت أن تجمع اليوم كل الناس الموجودين فى الجامعة سنجد أنها عملية مستحيلة ، لأنك ستجد منهم من حصل لوالده شىء من الثورة أو من هو من طبقة معينة لا يلائمها الوضع الإشتراكى » لكنه يحذر« يجب ألا ينضم إليك أحد على أساس مطالب » ويحاول أحد الحاضرين أن يكمل هذه العبارة بعبارة تفسيرية من عنده قائلا « لأنه لا توجد احزاب ولا توجد قوى مضادة » لكن عبد الناصر يوقفه قائلا « توجد قوة مضادة » وفى مواجهة هذه القوى المضادة يؤكد عبد الناصر ضرورة تنظيم وحشد القوى الاشتراكية لكنه يلاحظ أنه

بالنسبة للاتحاد الإشتراكى فان إتصالاتنا كلها « عائمة » وقد وصلت العملية إلى عملية روتينية بيروقراطية .

ولا يمل عبد الناصر من التكرار فى هذه المسألة الحيوية « هل الهدف أن نقيم تنظيمات على الورق ؟ طبعاً لا . لأن وجود التنظيمات على الورق لا يحقق هدفنا . وأنا أعتقد أن الهدف هو أن نكون تنظيما إشتراكياً . وهذا هو هدفنا الأساسى، ونتيجة لهذا فإنى أتساءل . هل الاتحاد الإشتراكى سيعطينا كاتحاد - إمكانية تكوين تنظيم إشتراكى ؟ إننى أقول لا ... إذن من أجل تحقيق هذا الهدف لابد أن نقيم تنظيماً سياسياً ثم نبحث كيف نربط هـــذا بذاك » . ولكن قيام التنظيم السياسى « لا يعنى أن يتجمد نشاط الاتحاد الإشتراكى » إن النقطة الرئيسية هى أن نخرج إلى العمل فى الاتحاد الإشتراكى ، وأى أمور تقابلنا فى الطريق سوف تظهر ونحـــل الخطأ الكبير . أو النكبة الكبرى أن نجمد ونجمد الناس معنا » ويؤكد مرة أخرى « بالنسبة للاتحاد الإشتراكى فيجب أن يعمل وينطلق » والعملان مرتبطان معاً ترابطاً جدلياً « إن الاتحاد الاشتراكى فى البلد له حد محدود لا يستطيع أن يتعداه ، ولكن الجهاز السياسى يجعلنا نصل إلى حد أعلى ، ثم ينعكس هذا فى داخل الاتحاد الإشتراكى » .

الجهاز السياسى

وحول وضع التنظيم الخاص وأسمه ، وهل سيكون سرياً أم علنياً يجرى حوار يستغرق معظم الجلسة الثامنة التى لم يستطع الرئيس عبد الناصر حضورها لانشغاله باعداد خطابه فى جلسة بمجلس الأمة فى اليوم التالى ، ويأتى عبد الناصر فى الجلسة العاشرة ليعيد طرح الموضوعات .

فيختار اسم « الجهاز السياسى » مستخدما اياه وباستمرار من دون أن يعلن على وجه التحديد اختياراً رسمياً للاسم . وعن موضوع السرية أو العلنية فانه أيضاً يقول « حين يوجد التنظيم — فلا مانع من الإعلان عنه ، وهو لن يوجد قبل مرور سنوات ، ولو تمكنا من إعداد أربعة أو خمسة آلاف عضو فى سنة أو سنتين فتكون النتيجة لا بأس بها »

هجوم على القطاع الخاص

وفى الجلسة العاشرة للأمانة العامة للاتحاد الإشتراكى يثير نور سلامة، أقضية أصحاب المصانع الصغيرة والمتوسطة الذين يمتنعون عن وفاء التزاماتهم المالية سواء التأمينات الاجتماعية أو الجهات الاخرى ويهربون رؤوس أموالهم وأرباحهم إلى قطاع الإسكان ، وتكون النتيجة أن تقوم هيئة التأمينات الاجتماعية بالحجز عليها وبيعها وتشريد عمالها ويسأل : « أن الموجـــة السائدة فى هذه الأيام وبخاصة فى شبرا الخيمة أن المصانع تصفى أعمالها فهل يمكن دراسة أو مواجهة مشاكل القطاع الخاص بمصانعه التى تستخدم ما بين ٥٠ عاملا ومائة عامل ؟ » .

ويرد عبد الناصر « أن مـــوضوع شبرا الخيمة بالذات مشكلة . وكان هناك مشروع لتأميم مصانعها . وفى الحقيقة بعد أن رأيت الصورة لم أوافق على تأميمها ، لأن هناك مصانع منها ، فيها ٥ عمال أو عشرة عمال وهى تكون بذلك عبئاً على القطاع العام ، ولكن ذلك لا يمنع أننا أمام أحد حلين بشأنها ، الحل الاول : أى مصانع بهذا الشكل توضع تحت الحراسة . الحل الثانى : هو إدماج مصانع شبرا الخيمة وتأميمها بشكل لا تكون فيه عبئاً على القطاع العام » .

ثم يدور الحوار الآتى :

... — كما توجد بعض المصانع الأخرى فى المحلة الكبرى بهذا الشكل .

عبد الناصر — فما هو العمل ؟

يجب أن نتخذ اجراءاً شأنها .

عبد الناصر — إن الاجراء الواجب إتخاذه فى هذه الحالات هو الحراسة أو التأميم .

ثم يمضى عبد الناصر قائلا « أعتقد انه من السهل حصر هذه المصانع .. وأننى أوقع يومياً قرارات جمهورية بفرض الحراسة على المصانع ... لأنه قد صدر قانون يجيز لرئيس الجمهورية — محافظة على الاقتصاد القومى — أن يضع الحراسة على المصانع .

وينتهز البعض هذه الفرصة ، ليحاول أن يستدر العطف على أصحاب مصانع القطاع الخاص قائلا « أعتقد أن الموضوع له شق آخر مهم وهو أنه توجد بعض المصانع التابعة للقطاع الخاص والتى لها أهمية ، تكاد تتوقف لأسباب خارجة عن إرادة أصحابها ... واضرب مثلا بمصنع الشبراويشى الذى يعمل به ٧٠٠ عامل وتبلغ إمكانيات تصديره حوالى ٢٠٠ ألف جنيه ، وهذا المصنع مهدد بالتوقف فعلا لأنه لا يحصل على بعض المواد الخام التى تستورد من الخارج .

ويكون رد عبدالناصر كافياً لإسكات أى محاولة لاستدرار العطف على رأسماليي القطاع الخاص ، فيقول « إننى كنت أعتقد أن مصانع الشبراويشى قطاع عام .

وفى بداية الجلسة العاشرة أثار أحد الأعضاء ، أن مكتب السيد الرئيس للأبحاث الاقتصادية برئاسة الجمهورية قد أصدر كتاباً يتضمن بحوثاً عن موضوع الحركة النقابية .. واعترض العضو على أن الكتاب قـــد قدم دراسة عن التنظيم النقابى فى إسرائيل ..

ويرد عليه عبد الناصر « أنى مختلف معك جداً فيما تقوله بالنسبة لأى شىء على ، إذ يجب أن نتعرف على كل النماذج الموجودة . . » ويقول : « نحن هنا فى الأمانة العامة للاتحاد الإشتراكى سنحضر أشياء عن إسرائيل، يجوز أن تكون أفضل مما عندنا ، إننى أقول ، أن إسرائيل لديها أنظمة أفضل من الأنظمة التى لدينا ومثلا لدى كتاب قرأته اسمه « سنوات التحدى » ألفه بن غوريون ، ورأيى أن هذا الكتاب يجب أن ينشر على الناس باللغة العربية . . . وليت أحدا هنا فى مصر يستطيع أن يؤلف كتاباً عن الهستدروت يبـــاع ، وربما يذكر الأخ عبد السلام بدوى حين كان يعمل معى أنى كنت أوجه نظرة دائماً إلى الهستدروت لأنه تنظيم خطير » .

لكن العضو يلاحظ « أن الكتاب الذى أشرت إليه يورد إسرائيل كدولة ، كما يظهر ذلك من مقدمته » .

ويرد عبدالناصر «إننا لانستطيع فى الواقع أن نقول أن إسرائيل ليست دولة، أن إسرائيل دولة تعترف بها الدول ، وأما إذا كنا نحن لا نعترف بها فإن ذلك لايمنعنا من التعرف على أنظمتها ، وحين نتكلم عن إسرائيل فاننا يجب أن نعتبرها دولة » .

لكن العضو يصمم على وجه نظره غير مستشعر الأهمية الخاصة للدراسات عن إسرائيل فيقول « ان هناك كثيراً من الدول لها تجارب فى الحركة النقابية يمكن أن نستشهد بها » ويرد عبدالناصر «أن ذلك لا يمنعنا من إن نستشهد بكل ما يتعلق باسرائيل فى الاقتصاد والتجارة والجيش ، ولست أريد أن أعاندك القول ، لأننا لكى نعرف ونلم بالمشاكل لا بد وأن نحيط بكل التنظيمات الموجودة ، وأود أن أشير ، أننى دائماً لا أحاول ان اقول اسرائيل ... المزعومة او دولة العصابات لاننا فى هذا نكون كمن يضحك على نفسه ، اننا يجب أن نحصل على أبحاث عن ميزانية اسرائيل محللة ، وكل ما يتعلق بالنشاط الإسرائيلى الداخلى ، والحقيقة أنه يهمنا التعرف على كل ما يتعلق باسرائيل ولا نأخذ هذا الموضوع من الناحية العاطفية » .

ولا يكتفى عبد الناصر بذلك ، فعندما يتقدم فى الجلسة تخطيطاً عاماً عن نشاط « أمانة الرقابة والنشر » يضيف اليه عبد الناصر « يجب أن نحصل هنا على ما ينشر فى الصحف الإسرائيلية لأنها تبين الوضع العام فى إسرائيل » ويضيف « يهمنا جدا أن نعرف ما هى إسرائيل » ثم يتحدى الجالسين « لاننا لو سألنا اى شخص الآن عن الأحزاب الإسرائيلية فمن الصعب عليه الإجابة » :

وفى نهاية الجلسة يثير أحد الأعضاء قضية يعتبرها خطيرة وهى : « لقد وزع كتاب عن الحزب الشيوعى فى السودان مكتوب عليه أنه طبع بمطابع أخبار اليوم (كان خالد محى الدين يتولى إدارتها) ، وهذا الكتاب يجعل الأحزاب

الأخرى تتساءل إن كنا نؤيد وضعا معينا فى السودان . فهل نحن نشجع وضعا معينا فى السودان ؟ وإن كان كذلك فإنه لاداعى لأن تكتب على الكتاب أنه « طبع فى أخبار اليوم » .

ويرد عبد الناصر « لقد وافقت على طبع هذا الكتاب . ولو أن الأخ على حق فيما قاله . وبالنسبة للوضع فى السودان فإن الحزب الشيوعى فى السودان أفضل لدينا ألف مرة من الاحزاب الرجعية ، والحقيقية أن الحزب الشيوعى فى السودان يقف فى خط وطنى ، ويتعاون مع حزب الشعب وجبهة الهيئات والعمال ونحن لا نعادى الحزب الشيوعى فى السودان (*) » .

* * *

(*) فى عام ١٩٧١ حل الرئيس جعفر نميرى جميع الاحزاب فى السودان ومن بينها الحزب الشيوعى .

٥ البناء الاشتراكى والمؤسسات الاشتراكية

ونأتى الآن إلى محضرى الجلستين الحادية عشرة والثانية عشر وفيهما أيضاً يظل الحديث ممتدا عن الاتحاد الإشتراكى .. وخطوات بنائه .

ويكون قد مضى علينا إثنتا عشرة جلسة عقدت خلال خمسة أشهر تحدث فيها عبد الناصر ما بجموعه أكثر من ثلاثين ساعة عن تنظيم الاتحاد الإشتراكى وضرورة ربطه ربطا محكما بقضايا الجماهير ، وإقامة موصلات جيدة تحمل النبض الحقيقى لجموع الشعب ، وبعد كل هذا النقاش ، وبعد المحاولات المضنية سواء فى مجال الفكر أو التنظيم ، نجد عبد الناصر نفسه ، وهو مضطر لأن يعلن فى آخر كلمة قالها ، فى آخر جلسة ، من الجلسات الاثنتى عشر « فى رأيى أن عملية بناء الإتحاد الإشتراكى لم تسر بخطوات تدعو للاقتناع » .

* * *

وحول المطالبات العمالية يدور نقاش طويل يتناول الكثير مـــن القضايا المهمة سواء من الناحية الفكرية أو السياسية .

هل يجوز للعمال فى ظل الدولة الإشتراكية أن يتوجهوا بمطالبات ؟

وما هى حدود هذه المطالبات ؟ وفى مواجهة من تقدم ؟ ماهو دور النقابة ؟ وماهى علاقاتها بالإتحاد الإشتراكى ؟ وإذا كانت النقابة منتخبة من عمال المصنع ولجنة الإتحاد الإشتراكى منتخبة أيضاً من العمال انفسهم ، وكذلك أعضاء مجلس الإدارة الممثلون للعمال ، فأى من هذه الجهات الثلاث يمتلك سلطة أكثر مـــن الآخر ؟ أيها يمثل العمال أكثر من غيره ؟ وإذا قام التنـــاقض بينها فمن يحسم هذا التناقض ؟ .

حول هذه القضايا مجتمعة — وأخرى غيرها — يجرى نقاش ممتد، وحوار طويل يسهم فيه عبد الناصر بأفكار وآراء تستحق الدراسة والتمعن ذلك أنهـــا تعكس الكثير من زوايا فكره، وتفسر لنا الكثير ممـــا تواجد فى التطبيق من ايجابيات وسلبيات معا .

* * *

وفى هذه الأثناء تجرى انتخابات تكميلية لمجلس الأمة فى مدينة دمنهور ويقف المحافظ ورئيس مجلس المدينة — وباختصار — تقف كل السلطة المحلية إلى جانب مرشح، ولكن منافسه ينجح بعد معركة عنيفة، بلغ من عنفها انهـــا كانت محور نقاش طويل داخل الأمانة العامة للاتحاد الإشتراكى العربى ويمتد هذا النقاش ليشمل قضايا مهمة وأساسية متعلقة بحرية الانتخابات، وجدوى الانتخابات الحرة، ومدى سلطة الدولة فى التدخل فى الانتخابات وما هى الضوابط والحدود المفترضة لهذا التدخل، وما هو المعنى الحقيقى لاشتراط عضوية الإتحاد الإشتراكى لمرشحى انتخابات مجلس الأمة، وما هى نتيجة اسقاط عضوية الاتحاد الإشتراكى عن عضو مجلس الأمة ؟ .

وفى النقاش يتخذ البعض مواقف متشددة ويطالبون بالتـــدخل، ويضطر عبد الناصر إلى تذكيرهم بأن عمر تجربة الانتخابات قصير وأن أى تدخل فيها أو فى نتائجها سوف يفقد الامر كله معناه ومذاقه .

ويطالبون باسقاط عضوية الإتحاد الإشتراكى عن عضو مجلس الامة «المتمرد» ومن ثم تسقط عنه عضوية المجلس .

ويرفض عبد الناصر ، طالبا إتاحة الفرصة أمام التجربة كى تنضج ، وأمام الأفراد كى يتعلموا ، وأمام التقاليد كى ترسخ .

ويلحـــون . . . ويصممون عــلى الحاحهم فى استماتة غريبة ولا يملك عبد الناصر سوى أن يشهر فى وجوههم « الدستور » الذى يحدد ضوابط لاسقاط العضوية عن عضو مجلس الأمة . ويقدر ماكان النقاش حاميا بقدر ما يعكس حقائق كثيرة تكمن أهميتها الاساسية فى انها تقدم لنا دروسا ثمينة فى كيفية معالجة القضايا المتعلقة بالديمقراطية والحريات ، وفى نتائج أى ممارسات خاطئة أومتسلطة فى هذا المجال .

وتكمن أهميتها أيضاً فى أنها تصلح وإلى حد كبير كمنظار لرؤية الماضى والحاضر والمستقبل معا . ذلك أن كثيرا من القضايا التى تناولها النقاش لا تزال مطروحة بشكل أو بآخر . . ولا تزال قائمة بصورة أو بأخرى .

حصيلة شهور من النقاش

وتبدأ الجلسة الحادية عشر بسؤال عن اسم النشرة التى ستصدر عن أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى « وعما إذا كانت تسمى بإسم « الإشتراكى» أو « الإشتراكى العربى » فقد حصلت مناقشات طويلة دخلت فى عملية الإشتراكية العربية أو التطبيق العربى للاشتراكية ، وقد ترك الأمر لقرار السيد الرئيس :

وبرد عبد الناصر « لقد صدرت النشرة فعلا باسم « الاشتراكى » » .

وبعـــد الأسئلة التى وجهها الاعضاء حول مختلف الموضوعات يوجه اليهم

عبد الناصر سؤالا محددا « هل هناك بيانات عن النشاط فى الاتحاد ؟ يبدو لى أن النشاط « نام » فى الفترة الأخيرة .

وفى الجلسة الثانية عشر ، يفتتح عبد الناصر الجلسة قائلا « نريد أن نعرف ماذا فعلنا فى الشهور الخمسة التى مضت ، والذى أتصوره أننا « شبعنا » تشخيصاً للامور ، وقد انتهت مرحلة التشخيص ونريد أن ننتقل إلى مرحلة ثانية . وفى تصورى أن الاتحاد الاشتراكى لم ينشط حتى الآن بالقدر الذى نريده » ...

ويتلى فى الجلسة تقرير عن عمل الأمانة يقول :

وتشكلت الأمانة بوضعها الحالى فى ١٢ / ١٢ / ١٩٦٤ ، وبذلك يكون قد مضى على تكوينها خمسة أشهر .

* قد عقدت أحد عشر اجتماعاً مع السيد الرئيس ، وأربعة عشر اجتماعاً بمفردها ، وخمسة اجتماعات مشتركة بينها وبين أمناء المحافظات .

* تحـــديد الهدف العـــام .

ا ــ تنشيط الاتحاد

ب ــ إقامة التنظيم السياسى

ويستغرق التقرير عشر صفحات كاملة من المحضر ، لكن عبد الناصر يسجل فى نهاية المحضر « فى رأيى أن عملية بناء الاتحاد الاشتراكى لم تسر خطوات تدعو للإقتناع ، وأرى ألا نكتف أنفسنا ونكبلها بقيود ، وإنما واجبنا أن نبحث المشاكل والحلول اللازمة لها » .

وخلال مناقشة نشاط الأمانات المختلفة يستعرض أمين العمال بعض المشاكل العمالية . ويدعو أحد الاعضاء إلى بذل إهتمام خاص بهذه المشاكل ويشير إلى مشكلة فى شركة « البيضا » بكفر الدوار ويقول « لقد علمت أنه حدثت عمليات تخريب بالنسبة للأقمشة . إذ قام بعض العمال بتمزيق الاقمشة وكتبوا شعارات مختلفة بالنسبة للانتاج . . . وانخفض الانتاج حوالى ٨ مليون متر عن السنة الماضية » .

تجميد المطالب العمالية ؟

ويطرح أمين العمال تصوره للحل ويقترح « تجميد » المطالب العمالية ، ويفسره بأنه « أسلوب تتفق عليه الحركة العمالية لمدة سنة أو سنتين تحت شعار « لا مطالب »

ويبرر ذلك بقوله : « مضى ١٣ عاماً على قيام الثورة ، والعمال حصلوا على « مكاسب لا حد لها ونحن نقول لهم لقد أعطيتم ما لم تطلبوا ، ولذلك فنحن نريد منكم تقدير الظروف الراهنة بتجميد المطالب والاندفاع بأقصى حد لزيادة الانتاج » .

ويلاحظ أحد الأعضاء « أن هناك مشاكل كبيرة فى مجال تقييم العمال وطبيعة العمل ولدينا معلومات عن هذه المشاكل فكيف نجمد قبل حل هذه المشاكل ؟ » .

لكن أمين العمال يرد « هناك فارق واضح بين التجميد وبين حل المشاكل، لأن هذه المشاكل موجودة سواء جمدت الأوضاع أو لم تجمد » .

ويرد ابراهيم سعد الدين ملاحظاً « أن النزاع القائم حالياً داخل المصانع ، هو نزاع على الموقف النسبي . من الذى يأخذ هذا ؟ ومن هو أحق ؟ لذلك أعتقد أن عملية التجميد ، خصوصاً بالنسبة لعمال القاعدة ، لا بد أن يصاحبها شيء من التضحية لأنه ان لم يصاحب التجميد فى القاعدة جزء من التضحية فى المستويات العليا فإن ذلك يوجد حالة قلق » .

حول دور الحزب فى الدول الشيوعية

ثم ينتقل أمين العمال إلى أوضاع التنظيمات المتعددة داخل المصنع. لجان الإتحاد الإشتراكى واللجان النقابية وأعضاء مجالس الإدارة، وقال « اعتقد أن هذا الموضوع الان أصبح فى حاجة إلى حل بأى شكل ، ونحن نرغب فى أن يكون هناك استقرار لهذه الأمور المتشابكة » .

ويجرى حوار طويل حول دور النقابات فى البلدان الإشتراكية ، وعلاقاتها بالحزب ، واحتمالات حدوث تناقض بين الاثنين ويقترح البعض اجراء إنتخابات واحدة للإتحاد الاشتراكى والنقابة ويلزم عبد الناصر طوال الحوار (١٥ صفحة) جانب الصمت لم يتكلم ... « لى تعليق على هذا الكلام ... انكم تقارنون بيننا

وبين الدول الشيوعية والحقيقة أنه يوجد خلاف كبير جداً... ونحن لدينا مشكلة اننا نريد إظهار القيادات الجديدة لأنه لا يوجد لدينا الأشخاص الذين يمكن الإعتماد عليهم فى كل مكان ، وطبيعى أن هذا هو الذى يجعلنا نشعر اليوم بالحيرة. ونحن عندما نقول الدول الشيوعية يوجد بها « كذا» ننسى أن لجنة الحزب فى الدولة الشيوعية تراقب النقابة والإدارة وكل التنظيمات الأخرى ، وتعطى تقارير يومية ليتم تغيير الإدارة إذا حدث فيها خلل ، وبذلك فان كل شخص يشعر بأن مصيره وحياته وعمله ومستقبله مرتبط بالحزب . ونحن لا يوجد عندنا مثل هذا الوضع فلا أحد يشعر بأن مصيره او حياته أو عمله أو مستقبله مرتبط بالإتحاد الإشتراكى، ولجنة الإتحاد الإشتراكى لاتهمها أبداً قيادات الإتحاد الإشتراكى بل يهمها ارضاء القواعد العمالية التى انتخبتها ... وهذا هو موضوع الإلتزام والربط ، فاذا كان هناك إلتزام وربط وتخطيط للعملية ان تحدث مشاكل سواء أكان الموجود هو اللجنة النقابية أو لجنة الإتحاد الإشتراكى أو مجلس الإدارة، أما ترك العملية مفتوحة بهذا الشكل فانه يؤدى إلى حدوث المشاكل ، فاذا فرضنا اننا سنقسمها نقابة الإتحاد الإشتراكى بحيث يجرى إنتخاب واحد لإختيار لجنة الإتحاد الإشتراكى والنقابة. فما الذى سيتغير ؟ .

وردا على هذا السؤال يقول أمين العمال « نكون اختصرنا خطوة » .

حول الإنتخابات السياسية والنقابية

ويواصل عبد الناصر حديثه « ولكننا لم نفعل شيئاً ، وبدلا من أن تكون هناك مجموعتان تقومان « بالتشويش » سيكون هناك مجموعة واحدة، أما إذا كانت المجموعة ملتزمة فلن يحدث هذا سواء كانت هناك مجموعتان أو مجموعة واحدة.

والعملية أساساً هى عملية الالتزام والنظام » ويمضى قائلا : « اننا قد نرشح أنا-أمن الكادر السياسى فيسقطونا فى الإنتخابات لأنهم يلتزمون معنا ولن يستجيبوا لمطالب الناس ، وذلك فى الوقت الذى ينجح فيه شخص تافه لانه سيقوم بعملية (تشريش) و (يزايد) على الآخرين ، بل أن إلتزام مرشح الكادر السياسى بنا « سيحرقه » طالما أنه لا يوجد شعور بالمسئولية.وهذا موضوع لا يمكن أن نحققه لأن الكلام قد يستثير الناس » .

« وقد يكون كحل مرحلى أن تجرى إنتخابات للجنة الوحدة تكون هى لجنة النقابة ولجنة الإتحاد الإشتراكى فى الوقت ذاته ، وقد يكون من الأسلم أيضاً أن ينتخب من اللجنة الأعضاء الأربعة الذين يشتركون فى مجلس الإدارة . فلنجرب هذا ، ثم بعد ذلك نقدم « الكادر السياسى » وإذا لم تنفع هذه الطريقة فلا بد أن ننتقل إلى عملية الإلتزام وعملية الترشيح » .

لكن عبد الناصر يعود فيقول: « فى رأيى ، أن هذا الكلام كله إنما هو إثارة الموضوعات ولن تكون كلاماً نهائياً ولن نصل إلى حل نهائى لهذه المشكلة ، لأنها أثيرت منذ شعور مدة ... ولكن سنتكلم فيها مرة أخرى قبل موعد الإنتخابات، ويفرض نفسه أيضاً فى هذه العملية ، موضوع العلاقة بين لجنة الإتحاد الإشتراكى وإتحاد الطلاب ، ذلك لأن هذه المشكلة ذاتها موجودة فى الجامعات » .

ويعلق أحدهم « أن الحل هو قيام حزب ، وبذلك تنتهى كل هذه المشاكل »

ويرد عبد الناصر : « الحقيقة أن نظامنا فريد وغريب فى بابه ، بمعنى إنى أتصور أن فى نظامنا خطأ ولو أن لدينا حزبين وحدثت انتخابات ، فان كل حزب سيساعد مرشحه ، ولقد كنا نرى هذه الصورة فى مصر قبل الثورة . ففى إنتخابات

نقابة المحامين مثلا يؤيد حزب الوفد المرشح الوفدى ويساعده والسعديين يؤيدون مرشحهم ويساعدونه ... ولكننا بخلاف تلك الأوضاع « إذ اننا نعتبر كل الناس مؤيدين لنا ولا نرشح أحداً ، وإذا أمعنا النظر فى إنتخابات دمنهور نجد أنه قد دخل المعركة الإنتخابية ١٢ شخصاً ، وعلى فرض أن لدينا ٤ أحزاب فما كان يمكن بحال من الأحوال أن يدخل الإنتخابات أكثر من ٥ أشخاص ، ولكن الوضع لدينا يسمح بعكس ذلك ، ومن ثم فان فرصة الشخص الخارجى تكون أوسع ويمكن أن يفوز فى المعركة « بالفهلوة » وما إلى ذلك » .

ويعلق عضو بالأمانة « قد يكون الوحيد هو إما أن نقدم حزباً أو حزبين وكلاهما له مزايا وعيوب ويرد عبد الناصر :

« اننا لا نستطيع أن نسمح بقيام حزبين لأن لدينا الآن حزبين فعلا، احداهما حزب رجعى والثانى حزب إشتراكى » .

ويواصل العضو « إننى أرى استبعاد الرجعيين » .

ويعلق عبد الناصر : « فى أى مكان ، وفى أى إنتخابات نجد الرجعيين يساندون مرشحاً ، ويساند الشيوعيون المرشح الآخر ، أما نحن فلا نساند أحداً . فماذا حدث مثلا فى انتخابات نقابة الصحفيين ؛ ساند الشيوعيون مرشحاً ، أما غير الشيوعيين فوقفوا فى صف المرشح الثانى مباشرة وعلى طول الخط » .

ويواصل العضو الحوار : الواقع أننا كنا فى هذه العملية على الحياد » .

لكن عبد الناصر يتساءل : « لماذا نحن على الحياد ؟ » .

ويصل الحوار حول الإنتخابات إلى معركة الإنتخابات التكميلية لمجلس الأمة التى جرت فى دمنهور .

ويقول أحد الأعضاء : « أن هذه المعركة كانت ضد الحكومة ، وواضح أن سيرها كان ضد الحكومة » .

لكن عبد الناصر يرى وجهاً آخر للمشكلة : « ان هذا الموضوع له وجه آخر . إذ أن المحافظ قد اتخذ جانباً فى المعركة . وكان المرشح الآخر يخرج إلى الجماهير ويقول لهم أن الإدارة ضده والمحافظة ضده » .

وهنا يبرز اقتراح ، يتبناه أكثر من عضو بالأمانة ، بامكانية التدخل فى مثل هذه الحالات ، باسقاط عضوية الإتحاد الإشتراكى عن المرشح أو العضو الذى يجرى انتخابه ... ويدور الحوار كما يلى :

« ... إذا أسقطت عن المرشح عضوية الإتحاد الإشتراكى فيسقط بالتالى حق الترشيح كعقوبة له .

عبد الناصر — هل فى حالة إسقاط عضوية الإتحاد الإشتراكى عن مجلس الامة تسقط عنه صفة عضوية المجلس ؟

... — نعم .. حيث أن الشرط الأساسى فى عضو مجلس الأمة أن يكون عضواً فى الإتحاد الإشتراكى العربى .

... — يمكن أن تسقط عن الشخص عضوية الإتحاد الإشتراكى أثناء الانتخابات وبالتالى يمنع من الترشيح .

... — شرط أساسى فى عضو مجلس الأمة أن يكون عضواً فى الإتحاد الإشتراكى ».

ورداً على كل هذه الحجج يتمسك عبد الناصر بالدستور « ينص الدستور على أن مجلس الأمة هو الذى يسقط العضوية عن أعضائه .. والدستور أقوى ».

ويحاول هؤلاء الأعضاء أن يزينوا له الأمر بوضعه فى إطار قانونى أو بالثقة باقتعال وضع قانونى له .

... — فى حالة إسقاط عضوية الإتحاد الإشتراكى عن عضو مجلس الأمة ، فسوف تسقط عنه عضوية مجلس الأمة من طريق تقديم طعن فى صحة العضوية .

... — يوجد بالمجلس لجنة الطعون .

ومرة أخرى يحذرهم عبد الناصر « إن هذه العملية تهدم المجلس » .

ويحاول البعض أن يبحث عن « إجراءات » مقبولة من حيث الشكل لكن عبد الناصر يرفض بشدة « ليست العملية فى الإجراء الذى يتخذ ، إنما الصورة ، ما الذى فى ذهننا للنظام ، الذى فى ذهننا أن إسقاط عضوية الإتحاد الإشتراكى لا تسقط عضوية مجلس الأمة ، وإلا كنا قد وضعنا فى الدستور أن إسقاط عضوية الاتحاد الإشتراكى عن عضو بمجلس الأمة تسقط عضوية المجلس » .

لكن الالحاح يستمر بصورة غريبة بل ومريبة .

... — .. بالنسبة لهذه الحالة يمكن أن يقدم طعن إلى مجلس الأمة بأن

هذا العضو ليس عضواً فى الإتحاد الإشتراكى ، ويتم التحقيق فى هذا الطعن فى محكمة النقض التى تثبت الحالة وترفع الأمر للمجلس .

عبد الناصر — لقد قدم العضو عند فتح باب الترشيح لعضوية مجلس الامة شهادة تثبت أنه عضو فى الإتحاد الاشتراكى ، وعلى هذا الأساس دخل المعركة الانتخابية وقد نجح . . فكيف يفصل ؟

... — شرط من شروط وجوده أن يكون عضواً فى الاتحاد الاشتراكى

عبد الناصر — ان الصورة ليست بهذا الشكل ، لانه إذا بدأنا نفصل أعضاء مجلس الامة على أساس انهم فقدوا عضوية الاتحاد الاشتراكى ، فسوف نضعف من هيبة المجلس » .

... وبهذا الموقف تنتهى المحاضر الاثنى عشر ... ونعود لنحاول البحث عن المزيد من تراث وخبرات التجربة ، أملا فى أن نعى وأن نستفيد مما بها من دروس وعظات .

* * *

٦ مواقف من الحلفاء والأعداء

قبل وفاته بقليل .. وفيما يشبه «خطبة الوداع» تحدث عبدالناصر ليضع النقاط فوق حروف كثيرة ومهمة .

... وكأن الرجل يشعر أنه الحديث الأخير .

وكأنه أحس أن واجبه يملى عليه ، أن يتحدث وباستفاضة موضحاً كل الحقائق شارحاً أبعاد الموقف ، مستشرقاً آفاق المستقبل .

.. وكنا فى العام ١٩٧٠ ، ومصر والأمة العربية كلها لا تزال تعانى من جراح الهزيمة ، ومن مرارة البحث المضنى عن إجابات شافية لأسئلة كثيرة .

وتكلم عبد الناصر واختار لحديثه أن يكون فى مواجهة الشباب ، مجموعة من المبعوثين المصريين يستعدون للسفر إلى الخارج لإستكمال دراساتهم — ولعله اختيار له مغزاه .

... جلس إليهم يتحدث . وانطلقت الكلمات من فمه .. بوضوح تام يرى أبعاد الموقف وحقائقه . برؤية صافية يتطلع إلى الغد . بصراحة كاملة تحدث إلى هؤلاء الشباب فى كل المشكلات . وكأنه أحس أن ذلك كان ضرورياً فأجاب فى حديثه على كل مايشغل بال الوطن من أسئلة .

* * *

ما هى الأسئلة ؟ وماهى الإجابات ؟ وما هى المناسبة ؟

كان ذلك قبل وفاته بأسابيع قليلة وكانت الأمور تبدو معقدة فى الساحة المحلية والقومية والعالمية . والأسئلة كثيرة .. كثيرة ، وتصبح من فرط كثرتها وتعقيدها قادرة على أن تتبلور لتصبح آلاما مضنية فى صدر كل عربى .

ويفسح عبد الناصر من الآلام .. من التجارب .. من الرؤية الصافية .. من الفهم الواعى لمن هو صديق ، ومن هو عدو ، ينسج من ذلك كله اجابات سديدة على أسئلة معقدة .

وكان ذلك بالتحديد فى يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ ، وكانت مجموعة من شباب مصر تستعد للسفر فى بعثات تعليمية وأقاموا لهم معسكراً تثقيفياً ، ولعل عبدالناصر كان يتابع الأمر كعادته فقد كان يشعر دوما أن مشاكل اليوم يجب ألا تلهى عن إعداد جيل الغد ، ولعله شعر بالآلام التى تبلورت فى أسئلة . تبلور هى ذاتها لتصوغ إجابات يجب أن تقال .

وتحدث عبد الناصر إلى المبعوثين حديثاً نعتقد أنه من أخطر وأهم أحاديثه ، ليس فقط لأنه كان يصوغ فيه — من دون أن يدرى أحد — « وصية » الزعيم لجيل الغد وإنما أيضاً لخطورة ما فيه من آراء .. ومواقف .

* * *

... وأعد الشباب أسئلتهم ، وأجاب عليها عبد الناصر ، ونقرأ الإجابات لنجدها نوعاً من الحوار الداخلى المتسق .

فالأسئلة تترجم أحاسيس ومخاوف كل الناس ، والاجابات أيضا تترجم مشاعر وتطلعات كل الناس ، مصر تحاور مصر، الوطن كله يسأل ، والوطن كله يجيب ، وتطوى الأسئلة والإجابات معاً فى ملف تبصم عليه عبارة « سرى للغاية » .

أميركا عدوة العرب

وتدور أسئلة حول موقف أميركا .. ويقدم عبد الناصر الإجابة :

« قبل « حزيران الأميركان بلغونى أنهم يضمنون كيان الدول فى المنطقة — وانهم سيعارضون أى عدوان . وفى يوم من الأيام طلبوا سفيرنا فى واشنطن وقالوا له أن عندهم أخباراً عن أننا حنهاجم إسرائيل ، وأن وزير خارجية إسرائيل موجود فى المبنى ذاته .. فى وزارة الخارجية ، وطلبوا أنهم يبلغونى الرسالة إن أميركا بتصمم على اعلان كنيدى اللى هو خاص بالحفاظ على الوضع فى المنطقة كما هو ومجابهة أى عدوان » .

« .. بعد ذلك حصل العدوان وكان من الواضح بالنسبة لأميركا أن فى وقت الحرب إذا كانت إسرائيل هى المنتصرة فان أميركا ستتناسى كلية البيان اللى هى أعلنته وإذا كانت الدول العربية هى المنتصرة فأميركا ستصمم على البيان اللى قالته والخاص بوحدة هذه المنطقة وعدم تغيير الأوضاع بالنسبة لحدود المنطقة » .

أميركا . . . الخديعة

« . . والحقيقة أن أميركا كانت قد تعهدت لنا بتنفيذ قرار مجلس الأمن وأنها ستعمل بكل الوسائل على أن ينفذ ، ولكن ما حدث بعد هذا كان يثبت العكس من ذلك كان يثبت أن أميركا تريد أن تساعد إسرائيل بكل الوسائل على استمرارها فى احتلال الأرض العربية . والدليل على هذا هو أن أميركا أعطت إسرائيل مساعدات سياسية بالنسبة لكل المشاكل التى عرضت على مجلس الأمن أو على الأمم المتحدة ، وأعطتها مساعدات اقتصادية حتى تمكنها من أن تتحمل الأعباء المتزايدة بالنسبة للأعمال العسكرية ، وفى الوقت ذاته أعطتها مساعدات عسكرية تتمثل فى الطائرات الفانتوم التى استلموها سنة ١٩٦٩ وتتمثل فى الطائرات السكاى هوك اللى استلموها سنة ١٩٦٨ وتتمثل فى العديد من الأسلحة الأخرى مثل الدبابات والمدافع وكل المعدات الالكترونية الموجودة . .

أميركا — التسوية الجزئية

« كان من الواضح باستمرار أن أميركا تريد لنا أن نبتعد عن المشكلة الخاصة بين الأردن وإسرائيل أو سوريا وإسرائيل ، وكانوا يقـــولون لنا انكم أنتم ماتتكلموش باسم العالم العربى ، على هذا الأساس ليه بتتكلموا عن الأردن وسوريا اتكلموا بس عن مصر وعن إسرائيل من الطبيعى عن مصر وإسرائيل ، وقالوا أن هناك إمكانيات الوصول إلى حل ، ليس هناك أى نزاع على خط الحدود المصرية

الموجودة زمان ، ولكن النزاع حيكون موجود بالنسبة للضفة الغربية للأردن والقدس ، وبالنسبة للجولان . من الطبيعى إذا أخذنا المشكلة كمشكلة مصرية إسرائيلية فقط وخليناها فى هذا الإطـــار ماذا سيكون موقف الأردن ؟ وماذا سيكون موقف سوريا ، لن يكون أمام الأردن من شيء الا إنها تقبل الحلول التى تفرضها إسرائيل ، وكلنا نعلم أن الإستراتيجية الإسرائيلية من الأول كانت مبنية على أساس فرض الحل بالقوة » .

التوازن الأميركى ..

« معنى هذا أن التوازن فى عرف الولايات المتحدة الأميريكية ، وفى رأى الرئيس الأميركى أن تكون إسرائيل متفوقة وعندها التفوق الجوى باستمرار فى المنطقة ، معنى هذا أنه غير مسموح للدول العربية التى احتلت أراضيها بأنها تعوض قواها اللى خسرتها وتكون قادرة على تحرير أراضيها ، معنى هذا أن الولايات المتحدة الأميركية تؤيد إسرائيل فى احتلال الأراضى العربية وفى الإحتفاظ بهذه الأراضى العربية ، وتقول الولايات المتحدة الاميركية للعرب ، ليس أمامكم من سبيل إلا قبول ماتطلبه إسرائيل لأننا دائماً حنخلى إسرائيل فى مركز التفوق الكاسح » .

الإتحاد السوفيتى .. أعطانا ماطلبناه وأكثر

وعن الإتحاد السوفيتى وموقفه دار حديث طويل وصريح قال فيه عبد الناصر

والإتحاد السوفيتى وقف من أول يوم بجانبنا وأنا لدى جواب من برجنيف وبودجورنى وكوسيجين يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ أنهم طلبوا منا إننا نصمد ولا نستسلم وأنهم هم مستعدين أنهم يعوضونا مجاناً فى جميع الأسلحة التى فقدناها فى حرب يونيو .. وبعد كده بالنسبة للاتحاد السوفيتى أدونا كل ما طلبناه بل أكثر . فيه حاجات ما كناش نعرفها أدوها لنا .. والحقيقة بدون معونة الإتحاد السوفياتى كنا حنكون كلية تحت رحمة إسرائيل ، لأن طبعاً كان من السهل لهم أنهم يعبروا إلى الضفة الغربية من القناة ويتقدموا للقاهرة . . أما الآن فهذا أمر مستحيـــل عليهم . . بكده الموقف العسكرى حقق فى أهدافه يمكن أسرع التقديرات اللى كنا عاملينها .

ميج معدل حسب طلبنا

ويمضى عبد الناصر متحدثاً عن المساعدات السوفيتية « بالنسبة للأسلحة . . بالنسبة للطيارات . . فعلا الإتحاد السوفياتى عمل لنا نوعين معدلين من الطيارات الميغ حسب طلبنا ، وعمل النوع الاول كطلبنا فى سنة ١٩٦٨ ، وبعدين طلبنا مواصفات جديدة فعمل النوع الثانى سنة ١٩٦٩ » .

ثمـــن . . . الأسلحة

وعند ما يتحدث عبد الناصر عن الأعباء الإقتصادية التى تجابه مصر ،

وخاصة فى مجال بناء قوات مسلحة قادرة ، يقول أن ميزانية القوات المسلحة إرتفعت من ١٦٠ أو ١٧٠ مليون جنيه إلى ٥٥٠ مليون جنيه أى زيادة ٤٠٠ مليون جنيه، ثم يقول :

« ده طبعاً خارج منه موضوع السلاح . . احنا ما بندفعش للسلاح اللى احنا بنأخذه ، ولكن جميع الاسلحة اللى بنستوردها من الإتحاد السوفياتى بناء على اتفاقات والدفع فيها مؤجل . . بل حتى بالنسبة للدفع اللى كان مقرراً علينا للإتحاد السوفياتى طلبنا منهم تأجيله إلى سنة واحدة » .

ونعود أيضاً فنتأمل الكلمات ، ونشعر كم كانت كافية كى تتلقن الدرس دونما حاجة إلى دروس جديدة ، ولعود فنقول ما أشبه الليلة بالبارحة . .

وتتولى الاسئلة ، وتتوالى معها الإجابات ، وكل منهما يتسم بالصراحة والوضوح ، بل وبالرغبة فى أكبر قدر ممكن من الوضوح .

ويسأله واحد من الشبان عن موقف بعض الحكام العرب .

ويرد عبد النـــاصر :

«كل واحد له مصالح ، وهناك متناقضات فى العالم العربى ، فيه طبعاً ناس يهمها واحنا بنقول اشتراكية — أن هذا النظام يسقط ، ويقوم بدلا منه نظام رأسمالى لان هذا قد يؤمن له الاوضاع فى بلاده ويثبت للأجيال القادمة أن الانظمة

الاشتراكية هى أنظمة لم ترض عنها الشعوب وهى أنظمة جلبة الفقر وليست جلبة لرفع مستوى المعيشة ».

وتناول عبد الناصر موضوع الدعم العربى لدول المواجهة بوضوح أيضاً ، وأشار إلى الكثير من الوعود التى اكتفى أصحابها بالاعلان عنها فى الصحف دون أن ينفذوها . وألقى عبد الناصر بالسؤال التالى « هل قدمت الدول العربية بعد مؤتمر الخرطوم سنة ١٩٦٧ أى مساعدات مالية ؟ » .

ثم أجاب « باين أن أكثر الدول لا تستطيع أن تساهم أو تحاول أن تساهم » .

ثم أجاب « وفى الحقية أنا مش عايز أتكلم قوى فى العلاقات العربية لان احنا سياستنا أننا مندخلش فى أى مشكلة مع البلاد العربية لان من أهداف اسرائيل أو أهداف أميركا فى الوقت الحالى أنهم يخلقون معركة بين الدول العربية ولكن إحنا رأينا أنه بصرف النظر عن هذا ، يجب ألا نيأس ولا بد أن نحاول بكل الوسائل الرسمية أو الوسائل الشعبية أن إحنا نخلى الدول العربية .. كل دولة تتقدم خطوة أو خطوتين بصرف النظر عن الفارق بين الخطط » .

٧ هل هناك أمل فى الحل السلمى ؟



— اسرائيل لن تنسحب

— وللفلسطينيين حق الرفض

.. وفى حديثة تناول عبد الناصر الكثير من القضايا الهامة ، وهو يرد على الأسئلة التى تتفجر فى وجدان الوطن العربى كله ، قبل أن تتفجر على ألسنة الشباب .

وكان عبد الناصر صريحاً ، وكان واضحاً ، كان يعرف اصدقاءه معرفة حقيقيه ، ويعرف كيف يتعامل معهم ، ويعرف — أيضاً — أعداءه معرفة تامة ، ويعرف كيف يتعامل معهم ، ونصل فى هذه الحلقة إلى إجابات أخرى من

إجابات أخرى من « خطبة الوداع » .. إجابات عن أسئلة قد يتصور البعض أنها محرجة ، أو صعبة ، أو أنها نقاط ضعف فى سياسته .

لكنه يجيب عنها جميعاً بالصراحة والوضوح ذاته .. مؤكداً ، — مرة أخرى — أن ما تصوره أعداؤه أنه نقاط ضعف أو دليل تراجع ، كان فى واقع الأمر ثمرة لرؤية صافية متأنية ، وتعبيراً عن إحساس بقوة موقفه ومستقبلية هذا الموقف ، وتحفزاً للهجوم وليس استعداداً للتراجع ..

* قرار مجلس الأمن .
* مشروع روجرز .
* الحـــل السلمى .

موضوعات ثلاثة جرى حولها كلام كثير ، وحاول البعض أن يلصق بموقف عبد الناصر تجاهها تفسيرات من عنده .

وحاول الآخرون تبريرها بما يشبه الهجوم عليها ... وحاول البعض السكوت عنها مداراة ، أو إحتراماً لزعيم رحل .

ويتكلم عبد الناصر ، بوضوح تام . ومن أوراق « الملف السرى » تأتى إجابته لتثبت أن مواقفه تجاه هذه الموضوعات الثلاثة ليست بحاجة إلى

تفسيرات أو تبريرات أو مداراة هذا البعض أو ذاك ، يتكلم عبد الناصر ليوضح كم كان موقفه تجاه هذه القضايا مبدئياً ومستقبلياً وقومياً .

لماذا قبلنا القرار ؟

. . « قد يتساءل البعض لماذا قبلنا قرار مجلس الأمن وهو يدى اسرائيل ، ميزات مكنتش موجودة قبل يونيو ١٩٦٧ ؟ احنا قبلنا هذا القرار فى ٢٢ يونيو ١٩٦٧ ، وأنا تكلمت فى ٢٣ نوفمبر وقلت ان احنا نصر على عودة اللاجئين ، وإذا لم يعد اللاجئين إلى وطنهم فلن نستطيع أن نوفى بالحق المطلوب لاسرائيل بالمرور فى قناة السويس والمشكلة تتعقد .

ويمضى عبد الناصر « احنا عولنا قبولنا لهذا القرار على أن ينفذ القرار كاملا ، وهذا القرار كان ينص على عدم الإعتراف باحتلال أى أرض أو الاستيلاء على على أى أرض عن طريق القوة ، ثم بالنسبة لنا ، الانسحاب من الأراضى المحتلة ولو أن همه حطوا القرار بحيث أن ممكن يكون له معنيين ، فهو الانسحاب من أراضى محتلة ، يمكن طبعاً لما نقول انسحاب من أراضى محتلة مع المقدمة اللى بتقول عدم الاستيلاء على أرض بالقوة ، ده يعنى انسحاب اسرائيل من كل الأراضى التى استولت عليها بالقوة ، بعد كده حل عادل لمشكلة اللاجئين

وفقاً لقرار الأمم المتحدة ، وبعــد ذلك وليس قبله . . . » بعد كده ترتيبات سلام » .

لكن . . . لماذا قبلنا القرار ؟

. . . « احنا لما قبلنا قرار مجلس الأمن ، الحقيقة ، كنا على ثقة أن إسرائيل لن تنسحب من الأراضى التى احتلتها ، ولن تقبل عودة اللاجئين الفلسطينيين وكنا نشعر أن هنا مخطط دايو بين أميركا واسرائيل من أجل تحقيق أهداف اسرائيل » .

. . . « والحقيقة أميركا قد تعهدت لنـــا بتنفيذ قرار مجلس الأمن وانها ستعمل بكل الوسائل على أن ينفذ ، ولكن ما حدث بعد ذلك كان يثبت العكس من ذلك ، كان يثبت أن أميركا تريد أن تساعد اسرائيل بكل الوسائل على استمرارها فى احتلال الأرضى العربية » .

واضح إذن أن قبول قرار مجلس الأمن كان يستهدف فى الأساس فضح اسرائيل وتواطؤ أميركا . . وماذا أيضاً ؟

كسب الوقت . . كانت مصر بحاجة إلى وقت تبنى فيه قواتها المسلحة ، هـــذا ما يقوله عبد الناصر بوضوح عنـد ما يتحـدث عن يارينج ورحلاته المتكررة » :

« كان تقديرنا أن يارينج حيقعد ، وده اتقال فى مجلس الوزراء .. قبل يارينج حيقعد سنة ونصف بدون أن يصل إلى نتيجة . ولكن فى نفس الوقت احنا كنا فى حاجة إلى السنة ونصف دول علشان نبنى قواتنا المسلحة اللى فقدت كل شىء فى معارك يونيو سنة ١٩٦٧ لان احنا طلعنا من معارك يونيو ١٩٦٧ وفقدنا كل الطيران وعدد كبير جداً من المدرعات والمدفعية والاسلحة الاخرى » .

ولكن قبول قرار مجلس الامن من جانب مصر لم يكن يعنى مطلقاً غل يد الفلسطينيين عن المطالبة بحقوقهم القومية المشروعة « فالقضية الفلسطينية النهارده فى العالم مطروحة كقضية فلسطينية ، وقضية إحتلال الاراضى مطروحة أيضاً كقضية إحتلال الاراضى » .

لم نأخذ مشروع روجرز .. مأخذ الجـــد

وعن مشروع روجرز ، الذى قيل عنه كلام كثير ، يقول عبـــد الناصر :
« الاسرائيليين حتى بيعارضوا الكلام اللى قيل فى الولايات المتحدة واللى سمى مشروع روجرز ، طبعا احنا مشروع روجرز لم نأخذه جديا لعدة أسباب :

انه يترك غزة لكى تكون موضوع من موضوعات المفاوضات بيننا وبين اسرائيل ، ويترك أيضاً شرم الشيخ لكى تكون موضوع من موضوعات

المفاوضات بيننا وبين اسرائيل ، وطبعا بالنسبة للاردن كل الحدود موضوع مفاوضات مع اسرائيل » . . .

لهذه الاسباب لم يتخذ عبد الناصر مشروع روجرز مأخذا جديا . . فلقد كان عبد الناصر يؤمن إيمانا قاطعا أنه بالنسبة لاسرائيل فان « ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة » .

ويقول . . « احنا كان فى تقديرنا من الأول أن اسرائيل لا يمكن أن تقبل الانسحاب إلا إذا شعرت أن القوات المسلحة بتاعتنا قادرة على أن تقوم بأعمال هجومية وقادرة أن تعبر القناة ، ولكن إذا كانت قواتنا المسلحة غير قادرة فليس من مصلحة اسرائيل ولا من مصلحة الولايات المتحدة أن الاسرائيليين ينسحبوا . . .

ويسأل عبد الناصر « ليه ؟ » ويجيب بنفسه على سؤاله « لأن طالما أن احنا ما نقدرش ندفعهم بالقوة وطالما هما موجودين فى الأراضى المحتلة على ضفة قناة السويس ، قناة السويس مقفولة ، وده باستمرار يسبب نوع من القلق النفسى للناس ويسبب نوع من الضغط الاقتصادى » .

إذن لماذا تردد الحديث عن الحل السلمى؟

هكذا وجهت أسئلة عديدة لعبد الناصر وبوضوح تام وضع الرجل النقاط فوق الحروف . .

« لغاية دلوقت نحن نتكلم عن الحل السلمى . . احنا بننادى بالحل السلمى لأن احنا الجبهة الأساسية فى القتال ، احنا الجبهة اللى عليها المعارك اليومية ، احنا الجبهة اللى طيرانها بيشتغل ومدفعيتها بتشتغل والمشاة والفدائيين بيشتغلوا . ولكن الحقيقة احنا ما احناش عاوزين الحرب من أجــل الحرب ، مافيش حد أبداً فى الدنيا يطلب الحرب من أجل الحرب ولكن الواحد يحدد أهدافه وأغراضه و شوف إذا قدر يوصل إليها بالطرق السلمية كان بها وإذا مدقدرش يوصل إليها بالطرق السلمية فليس هناك وسيلة إلا الحرب .. كلنا نعرف أن الحرب هى تكملة العمل السياسى بوسيلة أخرى هى وسيلة القوة » .

ثم يقول عبد الناصر بحسم أكثر ، ووضوح لا يحتمل أى لبس . .

ليس هناك أمل فى الحل السلمى

يقول « بنتكلم على حل سلمى ولكن ليس هناك أمل فى الحل السلمى »

إذا لمـــاذا ؟ . والجـــواب :

.. « أنا على ثقة أن اسرائيل لن تنسحب إلا إذا شعرت أن القوات المسلحة العربية قادرة على العمل ، ولكن حينما نتكلم عن المعركة وعن الجبهة وعن القتال نحن لا نواجه اسرائيل وحدها ، ولكن نحن نواجه اسرائيل مسنودة من الولايات المتحدة الأمريكية » .

ومرة أخرى يوجه إليه أحد الشباب سؤالا :

« هل يمكن أن تقول الآن بشكل نهائى أن فرص الحل السلمى لقضية الشرق الأوسط قد ضاعت تماما ؟ »

والجواب من عبد الناصر « الحقيقة منقدرش نقول كدة ، وأنا باقول إذا كنا قادرين على الحل العسكرى تبقى فيه فرص كثيرة جداً للحل السلمى » .

وهكذا نستطيع أن نفهم موقف عبد الناصر الحقيقى تجاه التسوية . .

— استثمار الوقت من أجل أسرع وأفضل تطوير ممكن للقوة العسكرية المصرية . . بما فيها إقامة شبكة الصواريخ العملاقة التى حطمت أسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى . . واتاحة الفرصة أمام القيادات والأفراد فى الوصول إلى مقدرة قتالية عالية تستطيع دحر العدو .

— استثمار القدرة العسكرية المتزايدة للضغط معنويا (بمجرد التواجد وتسارع النمو) وفعليا (بالقتال) من أجل ضمان تسوية عادلة . .

ويؤكد عبد الناصر وبالحاح « لن يكون هناك حل سياسى إلا إذا كان وضعنا العسكرى قوى وقادر على أن يعبر القناة وأن يطرد الاسرائيليين من الأراضى التى احتلوها ، وحتى تكون عندنا هذه القوات القادرة يجب أن نقدر المهمة الكبرى الملقاة على عاتقنا لبناء هذه القوات المسلحة » .

وفى الجملة الأخيرة من هذه العبارة من التصريح أكثر مما فيها من التلميح . . فقد صمم عبد الناصر على أن الهدف الأسمى هو ضمان الوقت الكافى لاعادة بناء القوات المسلحة وتسليحها وتدريبها بحيث تصبح قادرة على الحرب ، فقتال السلام .

. . « بالنسبة للموقف احنا النهارده استطعنا أن نعوض الكثير من الاسلحة التى فقدناها ، وأن نخلق قوات مسلحة قوية وقادرة وعندنا امكانيات فى قواتنا المسلحة كبيرة جداً . . ونحن نبنى قواتنا المسلحة على أساس أن بعد مرحلة الصمود تيجى مرحلة الردع ثم تيجى مرحلة التحرير » .

لكن عبد الناصر . . وحتى وهو لم ينجز بعد بناء قواته المسلحة كان يرفض « وقف اطلاق النار » فما أن تمكنت القوات المصرية من حيازة ما يكفيها للرد على الإعتداءات المتكررة للعدو حتى « بدأنا نضرب بالمدفعية وأيضاً بدأنا نرسل قوات الفدائيين . .

وأنا فى السنة اللى فاتت فى مايو قلت أن ايقاف اطلاق النار مر عليه أكثر من عامين ونقدر نعتبر أن العملية لا يمكن أن تستمر أكثر من هذا ، وان احنا بنعتبر أن ايقاف اطلاق النار لا يمكن أن ينفذ وحده . . فيجب أن نربط ايقاف اطلاق النار بتنفيذ القرار الآخر بالانسحاب .

هنا الحقيقة زى ما قلنا ، الانسحاب أمريكا تتجاهله وتصمم على وقف اطلاق النار . واحنا قلنا فلتبدأ حرب الاستنزاف وهى مرحلة من مراحل التصعيد

طبعاً ، الاسرائيليين فى هذا قالوا أن حرب الإستنزاف يجب أن يواجهها إستنزاف مضاد ، ونحن كما نعلم أن أى حركة من جانبنا لابد أن يكون لها حركة مضادة من جانب اسرائيل . وكان فى علمنا أيضاً أن كل حركة أخرى مضادة من جانب اسرائيل لابد أن يكون لها حل وحركة من جانبنا » ..

هكذا يستطيع عبد الناصر أن يقدم صورة متكاملة . . إيجابية ومستقبلية ، وأن يربط كل مواقفه بهدف أساسي واحد « التحرير وهزيمة المعتدين » ولكنه لا يملك الا أن يعبر عن أساه تجاه هؤلاء الذين يتاجرون بإنتقاد مواقفه . .
« بيقولوا الحل السلمى ده استسلام . . طيب بتعملوا انتوا إيه . . احنا اللى بنقول عاوزين الحل السلمى أحنا اللى بنحارب ، طبعاً إحنا ولادنا الموجوده فى القوات المسلحة ولادنا هى اللى بتموت ، ولادنا هى اللى حتموت » .

ذلك أن قبول الحل السلمى عند عبد الناصر لم يكن سوى استعداداً وحشداً للطاقات العسكرية بحيث تصبح قادرة على الحرب دفاعا عن السلام .. بل أنه كان ممتزجا مع القتال ضد العدو وباستمرار .. فلا وقف لاطلاق النار دون أن يكون ذلك مرتبطا بالانسحاب ..

بهذا الأسلوب فهم عبد الناصر معركته ضد اسرائيل . .

ونطوى صفحات ملف سرى آخر . . ولايبقى أمامنا سوى أن نناشد جامعى تراث عبد الناصر إلى الالتفات إلى مثل هذه « الملفات » وهى عديدة وتتضمن فى نفس الوقت الكثير من فكر ومواقف واتجاهات عبد الناصر .

صمم الغـــلاف

الفنان أحمد نور الدين

للمؤلف

* الأساس الاجتماعى للثورة العرابية
* تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر
* سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى

١ — عصام الدين حفنى ناصف

٢ — نقولا الحداد

٣ — ثلاثة لبنانيين فى القاهرة

* اليسار المصرى ١٩٢٥ — ١٩٤٩
* الصحافة اليساريه فى مصر
* اليسار المصرى والقضية الفلسطينية

مطابع

دياب

٣١ ش سكة الظاهر القاهره تليفون ٩٢٢٣٦٨٦

رقم الايداع بدار الكتب ٣٩٩٥ لسنه ١٩٧٥

دار الثقافة الجديدة
٣٢ شارع صبرى أبو علم
تليفون: ٥٨٤٧١ / ٥٨٧٨٠

الثمن ٣٥ قرشا